



طَلَقَتِ نَبْرَةَ

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

رسائل «سيف القدس»... بين نشوة الانتصار والحذر

كريمة الروبي

ندرك جميعاً من دون شك أن الكيان الصهيوني هو كيانٌ هشٌّ، وجوده مرهون بترهيب من حوله بدعاية عن قوته الخارقة التي لا تُفهر، وذلك عن طريق حرب خاطفة يستطيع من خلالها أن يلقي الرعب في نفوس أعدائه، ويكسب معركة تعينه على تقوية موقفه وتأكيد تفوقه، وإعاقة أي قوة صاعدة يمكنها مواجهته، كما حدث في حرب الأيام الستة عام 1967، ولكن حرب الاستنزاف التي أعقبتها أثبتت أن العدو لا يقوى على الحروب طويلة الأمد ولا يستطيع تحمل تبعاتها، ولا يتقن سوى الحروب الخاطفة، مما يدل على ضعفه وهشاشته ويؤكد حتمية زواله.

وتأكدت تلك الحقيقة عندما خرج كالفار المذعور من جنوب لبنان في 2000 عندما لفتته المقاومة اللبنانية درساً لم ولن ينساه، وتكرر الأمر في حرب 2006 التي تصور فيها أنه يمكن أن ينتصر بحرب خاطفة ولكنه فوجئ بمقاومة أعدائه خاوي الوفاض، ثم جاءت معركة «سيف القدس» التي فاجأت الجميع، ولم تكن المفاجأة في تأكيد فكرة هشاشة وضعف العدو، بل في قدرة المقاومة - رغم كل تلك المحاولات لحصارها مادياً ومعنوياً - على إشعال «تل أبيب»، وكذلك قدرة الشعب الفلسطيني على التوحد تحت راية النضال من دون إعداد مسبق لتلك الحالة.

لقد ألقنا معركة «سيف القدس» بالعديد من الرسائل منها ما يدعونا للفخر والأمل في حتمية الانتصار، ومنها ما يستوجب الحذر منه حتى نحافظ على مكتسباتها ولا تتحول انتصاراتها إلى خيبات وانكسارات.

أكدت معركة «سيف القدس» علي ثوابت لطلالما آمن بها المخلصون وحاولوا بثها في نفوس الأجيال جيلاً بعد جيل، أهمها أن المقاومة هي الحل لاسترداد الحقوق، والسبيل الوحيد للخروج من أزمة الانقسام الفلسطيني، كذلك أكدت على أن انتصار المقاومة مرهونٌ باستمرارها، فمجرد فكرة استمرارية وجود المقاومة هو في حد ذاته انتصارٌ لها وسط كل محاولات تقييدها وحصارها ومحاربة داعميها، فبقاء المقاومة وقدرتها على إرهاب العدو وإحراجه لهو انتصار كبير يجب البناء عليه ودعمه لاستكمال الطريق.

يمكن لأي متابع للشأن الفلسطيني أن يلاحظ حجم التضامن من قبل شعوب العالم مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، والذي ظهر في صورة تظاهرات كبيرة في أوروبا وأمريكا وكذلك مواقف كبار المشاهير في العالم،

طلقة تنوير 76: معركة «سيف القدس»
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي...
عدد 1 تموز 2021

- رسائل «سيف القدس»... بين نشوة الانتصار
والحذر/ كريمة الروبي

- جولة «سيف القدس»: الإنجازات والمخاطر/
إبراهيم علوش

- معركة «سيف القدس» في ميزان الصراع
العربي-الصهيوني/ بشار شخاترة

- مراجعة نقدية للبعد القومي والعروبي في
خطاب علال الفاسي/ إبراهيم حرشاوي

- الحل المرهلي (2010)/ ناجي علوش

- قصيدة العدد: شكراً دمشق/ عبد الرزاق عبد
الواحد

- رسم العدد: المناضل الوطني والقومي نزار
بنات

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد



وإن كنا لا نعول على هذا التضامن في حل قضايانا إلا أن له دوراً هاماً قد يسهم في تقييد حجم الدعم المقدم من حكومات تلك الدول للكيان الصهيوني تحت ضغط شعوبها.

لقد أثبتت معركة "سيف القدس" أن الشعب العربي ما يزال يرى في القضية الفلسطينية قضيتَه الأولى وهي قضية عربية وليست شأناً فلسطينياً داخلياً كما أرادوا لها أن تكون، لكن رغم كل محاولات تزييف الوعي، ما تزال القضية في عقل ووجدان الأجيال التي كانت هدفاً مباشراً لهذا التزييف.

كما أن النجاحات التي حققتها المقاومة في الوفاء بوعودها بقصف الأماكن الهامة والحيوية داخل الكيان وفرض حظر التجول على مغتصبي الأرض، حين أصبحت الملاجئ مقر إقامتهم طوال فترة المعركة، أعادت الأمل في النفوس من جدوى المقاومة، فعلى مدار أكثر من سبعين عاماً لم تتجح كل المساعي السلمية في الحصول على الحد الأدنى من الحق العربي، وأن الجدوى فقط للسلاح، ووصول الأجيال الجديدة لتلك الحقيقة من خلال ما رآته من أحداث هو نجاح كبير للفكر المقاوم يحد من أي تأثير للأفكار الانهزامية الداعية للتطبيع والقبول بالأمر الواقع.

إن أكبر المكاسب التي خرجت بها معركة "سيف القدس"، وهي المفاجأة التي لم تكن في حساب أي من الأطراف، هي انتفاضة فلسطينيي 48، وهم الذين أُجبروا على حمل هويات "إسرائيلية" والعيش - لا التعايش - داخل المجتمع "الإسرائيلي"، بكل تفاصيله، وعلى الرغم من ذلك لم تتجح كل محاولات "أسرته" وظهر جيل جديد لم ير "النكبة"، ولكنه ما يزال يؤمن بعدالة قضيتَه وأحقيتَه في الأرض - كل الأرض - وهو ما يهدد "إسرائيل" من داخلها وينسف كل دعوات "حل الدولتين" وحدود 67، فأصبحت المطالبة بكل أرض فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر، مما يعني العودة إلى تعريف الصراع كصراع وجود لا صراع حدود، وهو أمر لو تعلمون عظيم.

وفي اللحظة التي انتفض فيها الشعب الفلسطيني بالكامل، وباختلاف أدواته (الحجر والصاروخ)، توارت كل الأصوات الداعية للتطبيع، واختبأ المهزولون لنيل الرضا الصهيوني، ولم يكن هناك صوتٌ يعلو على صوت صواريخ المقاومة واشتباكات الضفة وأراضي 48، كانت حقاً أياماً عظيمة ترجم خلالها الشعب الفلسطيني كل نضالاته ونضالات الشعب العربي والأحرار في العالم إلى أمر واقع، فكل كلمة في مقال هدفت إلى التوعية، وكل عمل فني قدم قيمة وفكرة داعمة للقضية، وكل مظاهرة انطلقت تعبر عن الدعم والتضامن مع القضية والتأكيد على حضورها دائماً في وجدان الجماهير، قد ساهمت جميعاً في بقاء القضية حاضرة ومستمرة، ولا يمكن الاستهانة بما قدمه أي فرد مهما كان حجم عطائه وبالتالي لا يحق لأحد أن يتهاون في أداء واجبه حتى ولو بكلمة بدعوى عدم جدواها.

وضعت معركة "سيف القدس" معادلة للصراع هي ليست جديدة بل تجددت على يد المقاومة، فلم تعد القضية الفلسطينية مجرد قضية تستدر عطف الجميع مع شعب يُقتل ويتعرض للقمع والتهجير، بل باتت القضية قضية أرض وحق لم ولن يضيع ما دامت هناك مقاومة تحميه وترد العدوان بعدوان مثله، وهي معادلة لم يعرفها العدو منذ خروج مصر من الصراع كنتيجة مباشرة لكامب ديفيد، إلا مع المقاومة اللبنانية، وهو ما يؤكد على أن الحقوق لا تسترد بالاستعطاف بل إن "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة"، ولا سبيل للتحرير ورد الحقوق سوى بالسلاح.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

كانت تلك أهم النتائج الإيجابية التي يجب البناء عليها في المستقبل، ولكن علينا أن نحذر من إطالة أمد الهدنة والتي يمكن أن تحول تلك الانتصارات إلى انتكاسات.

فالعدو يدرك جيداً تلك النتائج وبالتأكيد ستوفر له الهدنة الطويلة الفرصة لتداركها، وقد بدأ ذلك بالفعل بحملة اعتقالات وتكبير للفلسطينيين الداخل منعاً لتكرار انتفاضتهم، كما قام بالضغط من خلال مؤسساته الدولية التي يسيطر عليها على المشاهير الذين أظهروا مساندتهم ودعمهم لحق الشعب الفلسطيني مثلما حدث من تراجع لموقف الممثل العالمي مارك روفالو المعروف بمواقفه الداعمة لفلسطين والذي طالب في بداية الأحداث بمقاطعة "إسرائيل"، ثم عاد وتراجع عن موقفه، ربما تحت ضغوط ما، وهو ما سيتكرر مع كل داعم للقضية وللحق العربي، وستستمر الآلة الإعلامية التي يسيطر عليها في العمل على الحد من موجة التعاطف التي اجتاحت العالم رغم كل الحصار الذي يمارس ضد كل صوت معادٍ لسياساته.

كما بدأ العدو أيضاً في تشويه صورة المقاومة عن طريق حصرها في حركة حماس والتي لا يلقى قاداتها السياسيين قبولاً لدى الشارع العربي بعد موقفهم من الدول المتضررة مما يسمى بـ"الربيع العربي" خاصة في سورية ومصر، ولا شك في أن تحميل حماس وحدها مسؤولية إطلاق الصواريخ وإشعال الأحداث هو هدف مشترك لكلا الطرفين ("إسرائيل" وحماس)، فالأولى تهدف للحد من دعم الشارع العربي للمقاومة والثانية ترغب في جمع جميع مكاسب المعركة في جعبتها والمساومة بها، وهنا علينا أن نفرق بين القادة السياسيين أمثال خالد مشعل وإسماعيل هنية وبين القادة الميدانيين أمثال محمد الضيف ورفاقه.

إن الهدنة الطويلة تمنح العدو فرصة لملمة جراحه وتصحيح أخطائه، واستكمال اعتداءاته المتكررة التي لم يتوقف عنها حتى خلال الهدنة التي هرول إليها وسعى لعقدها من دون شروط، وهي بذلك خدمة مجانية لا يمكن أن يمنحها له الشعب الفلسطيني الذي بدأ بالفعل استكمال ضغطه على الكيان الصهيوني بعيداً عن اتفاقات الهدنة والتزامات المسؤولين، بانطلاق فعاليات "الإرياك الليلي" عن طريق القيام بعدة فعاليات ليلاً مثل إشعال الإطارات وإطلاق البالونات الحارقة، والتي بدأت من غزة وامتدت للضفة الغربية وتهدف لاستفزاز عناصر جيش الاحتلال ومواجهة إقامة البؤر الاستيطانية.

إن مشهد احتراق "تل أبيب"، وانتفاضة الشعب الفلسطيني بالكامل رغم الحواجز التي صنعها الاحتلال لتفصل بين أبنائه لتثبيت شتاتهم، وعودة المطالبة بكامل الأرض وإنهاء أي وجود للاحتلال الصهيوني، وكل هذا العداء الذي ظهر من الشعب العربي رغم كل محاولات التطبيع وتزييف الوعي، قد سبب صدمة للعدو وأصدقائه وداعميه، وعلى المقاومة أن تستمر في ضغطها ولا تترك المجال للعودة إلى ما قبل "سيف القدس" وما فرضته من معادلات وأسفرت عنه من نتائج نرجو البناء عليها واستكمالها حتى تحرير كامل الأرض.

تلك هي بعض من رسائل المعركة.. وللنضال بقية.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

جولة "سيف القدس": الإنجازات والمخاطر

إبراهيم علوش

نشبت معركة "سيف القدس" على خلفية: (1) قرار المحكمة العليا "الإسرائيلية" في 6 أيار 2021 إخلاء سبع عائلات فلسطينية من منازلها في حي الشيخ جراح في القدس لمصلحة مستعمرين يهود، ضمن سياق مسعى جارٍ لتـ.يهويد الحي برمته، (2) اقتحام آلاف من عناصر الشرطة الصهيونية المسجد الأقصى وباب العمود والشيخ جراح صبيحة اليوم التالي، ومن ثم اقتحام الأقصى مجدداً في 10 أيار، (3) دخول كتائب القسام على الخط في اليوم ذاته متوقعة الاحتلال إن لم يسحب جنوده من الأقصى ويطلق سراح المعتقلين.

من إنجازات جولة "سيف القدس":

في المساء قُصفت المستعمرات المجاورة لغزة، ومن ثم اشتعلت فلسطين، كل فلسطين، وشوارع المدن العربية والإسلامية والعالمية، لتبدأ جولة "سيف القدس"، وتستمر عشرة أيام تحققت خلالها إنجازات سياسية وميدانية نوعية كان على رأسها:

- أولاً، ما جرى في الأرض العربية الفلسطينية المحتلة عام 1948، وهو الإنجاز السياسي الأبرز في جولة "سيف القدس"، من ناحية:
 - أ – سعة الاحتجاج الجماهيري، وشموله كافة المدن والقرى التي توجد فيها كثافة عربية من طبريا إلى حيفا ويافا واللد والجليل والنقب، وهو ما كان مفاجئاً للعدو والصدى،
 - ب – مدى صدامية الحراك واتخاذ طابعاً عنيفاً ومسلحاً أحياناً، وصولاً إلى ما اتخذ شكل حرب شوارع حقيقية، وهو الشكل الطبيعي والأمثل لتعامل أي شعب مع احتلال،
 - ج – تجاوز سقف الشأن المطالب اليومي والخروج تماماً عن المسار السياسي التطبيعي الذي حاولت تكريسه القيادات التقليدية منذ عام 48 باتجاه خط يتخذ الاحتلال عدواً سواءً تحت عنوان الأقصى والقدس أم تحت عنوان وطني فلسطيني عام، أي لا يهم إن اتخذ الاحتجاج هنا طابعاً دينياً أم وطنياً أم كليهما، دنوباً أم مقدساً، لأن المضمون العملي يبقى الصدام مع المحتل الغاصب، أي أن القصة ليست قصة "عنصرية ومساواة" ومطالب خاصة تحت سقف "إسرائيل"، بل قصة وعي وطني تحرري، ولو ارتبط بالقدس (الأقصى والقدس).
 - د – إعادة الاعتبار إعلامياً لمصطلح "الأرض المحتلة عام 48"، وهذا إنجاز عظيم لأنه أعاد طرح قضية الأرض المحتلة عام 48 التي همشها بقوة نهج التسوية مع العدو الصهيوني فلسطينياً وعربياً.
 - هـ – تجاوز الصراعات العشائرية والعائلية التي اشتعلت يوماً على مدى أشهر قبل جولة "سيف القدس"، إلى صراع وطني وقومي محتدم مع الاحتلال، فالسلاح الذي تم ضخه لتسعير الاقتتال الدموي بين العائلات وجه إلى صدر الاحتلال، وهذا درس ينسحب على الأرض المحتلة عام 48 وكل بقعة عربية، فالقتال ضد العدو الرئيسي يوحدها، والتلهي عن العدو الرئيسي يدخلنا دوماً في أتون الصراعات الداخلية.
 - و – الاستعداد لدفع أثمان كبيرة من أجل خوض الصراع حتى النهاية وقد تجلّى ذلك مثلاً بعدد المعتقلين الذين قالت الهيئة العربية للطوارئ في الأرض المحتلة عام 1948 في 29 أيار أنه فاق 1700، ليتبين بعدها أن عدد المعتقلين فاق 2100، وما تزال حملات المداومة والاعتقال مستمرة حتى لحظة نشر هذه السطور.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

ز- إرباك العدو بشدة في جبهته الداخلية اجتماعياً وأمنياً وسياسياً في خضم المعركة، إذ يصعب على أي جيش في العالم أن يقاتل بكفاءة وجبهته الداخلية ملتبهة.

الدرس الأهم بالنسبة لنا هنا هو أن الأرض العربية الفلسطينية المحتلة عام 48 جزءاً لا يتجزأ من فلسطين وقضيتها وحركة تحريرها، والبرنامج الذي لا يضع تحرير الأرض المحتلة عام 48 على رأس أولوياته ليس برنامجاً وطنياً أو تحريراً، وهو بالتأكيد ليس برنامجاً قومياً.

• وإذا كان ما جرى في الأرض المحتلة عام 48 هو الإنجاز السياسي الأبرز لجولة "سيف القدس"، فإن ثاني إنجازات تلك الجولة جاء من غزة، وهو الإنجاز الميداني الأبرز. فكلنا يعرف أن غزة لديها صواريخ، ولكن الجديد في الميدان كان:

- مدى تلك الصواريخ، التي وصل بعضها إلى 250 كم، والمخيراً أعظم.
- القدرة على إطلاقها بغزارة غير مسبوقة، وصلت إلى حوالي 4500 صاروخ خلال 11 يوماً.
- القدرة على تجاوز ما يسمى "القبة الحديدية"، التي تحولت بفعل تلك الغزارة بالذات إلى ما يشبه "قبة كرتونية"، وهذا بدوره أثر على الكيان الصهيوني، الذي تسكنه عقلية الغيتو-القلعة المحمية بالأسوار برأ وجواً، من ناحية:

أ - شعوره بالأمان، الأمان الشخصي، بالنسبة للمستعمرين الأفراد، وأمان المواقع العسكرية والاقتصادية الاستراتيجية بالنسبة لقيادته السياسية والعسكرية، ولعل من أبرز المؤشرات على ذلك إيقاف الرحلات إلى مطار "بن غوريون" خلال المعركة،

ب - سمعة صناعاته العسكرية عموماً، فدبابة الميركافا حرق الكورنيت سمعتها في لبنان عام 2006، أما "القبة الحديدية" فقد أذلتها صواريخ غزة عام 2021، وكل هذا يؤثر على عائدات الكيان الصهيوني من تصدير الأسلحة، مع العلم أن صادراته من الأسلحة بلغت أكثر من 8 مليار دولار عام 2020، وأكثر من 9 مليار دولار عام 2017، وهي تأتي في الأهمية بعد تصدير الماس الذي يحتل المقام الأول في الصادرات السلعية "الإسرائيلية" (وهو أمر يحتاج إلى دراسة مستقلة بالنظر إلى عدم وجود مناجم مجوهرات في الأرض العربية المحتلة، ولكنه أمر يساعد على تفسير بعض اتجاهات الاختراق الصهيوني عالمياً). بيد أن الضرر الذي يلحق بسمعة الصناعات العسكرية "الإسرائيلية"، برأينا المتواضع، هو أهم بكثير استراتيجياً من الضرر الذي لحق بتعطيل سير الاقتصاد "الإسرائيلي"، ومن الضربات التي تلقتها بنيته التحتية، كما في ميناء أسدود، خلال جولة "سيف القدس"، على أهميتها الكبيرة، فكله خير، لكن بضع مئات ملايين الدولارات عابرة يمكن أن يعوضها الغرب والحركة الصهيونية بسهولة أكبر من الضرر الدائم لسمعة "فخر" الصناعات العسكرية "الإسرائيلية".

ج - اهتزاز هيبة الكيان الصهيوني إقليمياً من جراء عجزه عن الدفاع عن نفسه بفعالية إزاء صواريخ غزة، بعد فقدانه القدرة عملياً على الاجتياح البري نهائياً بعد عام 2006 في لبنان، أثر سياسياً على الوزن الإقليمي لدولة العدو الذي عولت عليه بعض الأنظمة العربية المطبوعة ليملاً الفراغ الذي سيتركه توجه الإدارة الأمريكية لتقليص وجودها في المنطقة لمواجهة روسيا والصين... فمن لا يستطيع حماية نفسه من صواريخ مصنعة محلياً في غزة المحاصرة، كيف سيحمي نفسه من صواريخ حـ. ز ب الله الأكثر تطوراً وكثافةً، أو من صواريخ سورية وإيران، ناهيك عن "حماية الإقليم"؟!!

ولا شك في أن هذا الدرس تلقتته سريعاً الأنظمة العربية المطبوعة قديماً وحديثاً، وأنه كان أحد العوامل التي سرعت بحثها عن خيارات موازية، ولا نقول بديلة، للتطبيع، باتجاه الانفتاح على سورية أو إيران، وفي البحث عن تخفيف للتوترات الإقليمية وصياغة علاقات وأطر جديدة، وهو ما برحت تعيقه تبعية تلك الأنظمة للغرب (كما رأينا من بيان الاجتماع الدولي في روما حول سورية في 28/6/21)، ولكن هذا مبحث آخر، إنما العبرة هي أن معركة "سيف القدس"، بالإضافة إلى كل ما تمت مرآكمته من إنجازات قبلها، من سورية إلى اليمن، أضعفت الوزن الإقليمي للكيان الصهيوني وللمطبعين العرب.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

مثلت جولة "سيف القدس" إذن قبساً مما هو قادمٌ لا محالة: بداية نهاية الكيان الصهيوني، ويتجلى ذلك تحديداً في العاملين الموضوعيين التاليين: أ - فقدان القدرة على شن الاجتياحات البرية الشاملة واحتلال الأرض (ما عدا الضفة الغربية والقدس)، ب - تآكل قدرته الردعية وقدرته على الدفاع عن نفسه عسكرياً.

نتحدث هنا بالضبط عن تحول في ميزان القوى العسكري وضع الكيان الصهيوني في نقطة ما بين التوازن الاستراتيجي والدفاع الاستراتيجي على الصعيد العسكري، بعد أن كان في حالة هجوم استراتيجي عسكرياً، ولو أن "الربيع العربي" بالذات، بالفتن والانقسامات واستدعاء التدخلات الأجنبية التي أحدثتها، أعطى كيان العدو ميزة استراتيجية هجومية على الصعيد السياسي.

• ثالث إنجازات جولة "سيف القدس" كان ما جرى في القدس والضفة الغربية. والحقيقة أن القدس والضفة الغربية عموماً هي بؤرة صدام متواصل مع الاحتلال يشتعل حيناً ويخبو حيناً آخر من قبل جولة "سيف القدس" ومن بعدها، ولكنها خلال جولة "سيف القدس" تألقت بطولاتٍ ودماءً ونضالاتٍ جماهيريةً وعسكريةً أكثر زخماً وعطاءً، وهبت فيها التظاهرات في كل مكان، في نابلس والخليل ورام الله وجنين وطولكرم وقلقيلية وبيت لحم وغيرها، أما الفعالية النضالية لشباب القدس والضفة فمتواصلة منذ سنوات، لكن القدس والضفة عموماً سعدت في جولة "سيف القدس" إلى مستوى التحدي واحتدام التناقض مع العدو فأبدعت وتميزت.

وكون تلك الفعاليات النضالية هي الأكثر استمراريةً وديمومةً لا يقلل منها بل يزيدها تميزاً، إذ أن القدس والضفة هي الأكثر تعرضاً لمشروع التهويد الحديث من الغور إلى المسجد الأقصى، وبالتالي الأكثر إلحاحاً في مواجهته، من دون أن نقلل أبداً من الدور الرئيسي لأهلنا في الأرض المحتلة عام 48 في مواجهة تهويد الأقصى بالذات.

تشكل مقارعة الاحتلال والتهويد في الضفة والقدس إذن شأنًا عاديًا يوميًا، مثل الغذاء والماء والنوم والاعتقال وتنفس الهواء والحواجز "الإسرائيلية"، ومثل عمليات الطعن والدهس وإلقاء الحجارة على المحتالين، ومثل قوافل الشهداء من خيرة الشباب والصبايا، وفي يوم الجمعة الموافق 14 أيار وحده على سبيل المثال، ارتقى 11 شهيداً، وكان ذلك غيضٌ من فيض. وفي غمرة جولة "سيف القدس" في الضفة الغربية والقدس ارتقى فادي ومنتصر ووفاء وإسلام وأدهم ومحمد وزهدي وشاهر وغيرهم كثيرون.

غير أن من أبرز ما قدمته الضفة الغربية في جولة "سيف القدس"، بالإضافة إلى تصعيد وتيرة التظاهرات وغيرها، هو عودة العمل المسلح المباشر إلى الميدان، وفي يوم الجمعة الموافق 14 أيار وحده، شن المقاومون عمليات عسكرية على عدد من حواجز الاحتلال في الضفة: قرب مستعمرة "زيف" في يطاء، قرب مستعمرة "حيمش" بجنين، عند حاجز الجلعة بجنين، وقرب حاجز عناب بطولكرم... ولم يكن ذلك حدثاً عابراً خلال جولة "سيف القدس"، إذ تكررت العمليات المسلحة قرب حاجز بيت إيل بالبيرة، وفي مستعمرة "ألون موريه" بنابلس، وغيرها.

الحصيلة، ما بين الضفة والقدس والأرض المحتلة عام 48 وغزة، كان إشراق لوحة وحدة كفاحية نضالية عبر كل فلسطين، تضم فلسطينيي الشتات أيضاً.

زادت تلك الوحدة من تأزم الكيان الصهيوني وكل من سار في ركابه، لا سيما فلسطينياً، ولا بد من التنكير هنا أن العائق الرئيسي أمام العمل المقاوم في الضفة الغربية بكل أشكاله، العسكرية وغير العسكرية، هو السلطة الفلسطينية وأجهزتها، وقد ذكرت صحيفة "معاريف" في 29 أيار، نقلاً عن مصادر رسمية "إسرائيلية" ما يلي: "إسرائيل تقدر جهود الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية في تقليل التوترات في الضفة الغربية خلال المعركة مع غزة!"

لم تكن السلطة بحاجة إلى مثل هذا التقدير العلني على موقفها المشين، فقد استمر تنسيقها الأمني مع أجهزة العدو في عز المعركة، واستمرت في الاعتقالات والاستدعاءات واقتحام المنازل، ولعل قراء هذه السطور قد شاهدوا فيديو اقتحام منزل الش. هيد زهران زهران والاعتداء على عائلته الذي نشر على مواقع التواصل الاجتماعي في 17 أيار في خضم جولة "سيف القدس".



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

لقد كان موقف السلطة مشيناً بكل ما للكلمة من معنى، وهو ما انكشف لعدد أكبر من المضللين والمخدوعين خلال جولة "سيف القدس" (وما قبلها وما بعدها)، وهي إحدى بركات "سيف القدس" أيضاً، سوى أنه يجب أن نذكر أن أجهزة التنسيق الأمني مع الاحتلال تم تأسيسها وبدء العمل بها في عهد عرفات، فهو من دشّن مثل ذلك الخط، وما اغتيال المناضل الوطني والقومي نزار بنات إلا تنمة لتصفية عشرات المناضلين في صفوف حركة فتح وغيرها، من يوسف عرابي في دمشق إلى أبي أحمد وأبي عماد من مخيم تل الزعتر في لبنان إلى ناجي العلي، وغيرهم كثيرون.

• رابع إنجازات جولة "سيف القدس" هو إعادة توجيه البوصلة في الشارع العربي نحو التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني، وهو ما يمثل نقیضاً مباشراً وقاتلاً لكل ما يسمى "الربيع العربي" من جهة، ولموجة التطبيع الجديدة بين الأنظمة العربية التي سارعت إليه على خلفية ما يسمى "اتفاقات أبراهام" من جهة أخرى. وقد لاحظنا بوضوح على هذا الصعيد:

-مدى التفاعل الجماهيري الكبير مع فلسطين في الشارع العربي، من فلسطينيي الشتات إلى اليمن إلى العراق إلى سورية إلى المغرب إلى عموم المدن العربية.

- المسيرات الجماهيرية والشبابية إلى فلسطين التي انطلقت من جنوب لبنان ومن غور الأردن، والتي تمكن بعض الشباب خلالها من العبور إلى فلسطين، ليثبتوا أن ذلك ما يزال ممكناً، وقد استشهد خلال هذه المسيرات محمد طحان في جنوب لبنان، واعتقل مصعب الدعجة وخليفة العنوز من جهة الأردن بعدما تمكنا من التسلل إلى فلسطين، وقد عاد العدو الصهيوني وسلمهما للأردن، وما يزالان معتقلين حتى تاريخ كتابة هذه السطور.

- المسيرات الشبابية المتواصلة في شوارع دمشق وغيرها من المدن السورية، على الرغم من أكثر من عشر سنوات من الحرب والحصار وخيانة بعض الفلسطينيين الذين احتضنتهم سورية، مما يشهد على عمق الحس القومي المتجذر في سورية وإدراك العدو المشترك، والحقيقة أن جولة "سيف القدس"، والتفاعل الفلسطيني والعربي الكبير معها، كان له انعكاس إيجابي مباشر على المزاج الجماهيري في الداخل السوري، فقد جاءت إعادة إحياء التفاعل مع فلسطين مصداقاً لموقف الدولة السورية التاريخي من فلسطين وقضيتها في الشارع السوري، وبالتالي كان ما جرى في فلسطين واحداً من بين عدة عوامل ساعدت على زيادة الزخم الجماهيري المنخرط في الاستحقاق الانتخابي الرئاسي.

- على صعيد محور المقاومة ككل، لا سيما في لبنان وسورية، كان هناك نوعٌ من التوجس من المناورة الكبرى التي بدأها العدو في 9 أيار، مناورة "مركبات النار"، وهي المناورة التي كان يفترض أن تستمر لشهر كامل وأن تتضمن تدريباً على خوض حربٍ على عدة جبهات، أهمها الجبهة الشمالية طبعاً، وكان من إنجازات معركة "سيف القدس" أنها أجبرت العدو على تعليق مناورة "مركبات النار" في اليوم الثالث لبدءها إلى أجل غير مسمى، فكانت فلسطين بذلك هي التي حمت ظهر محور المقاومة، كما حمى المحور دوماً ظهر فلسطين وقضيتها، لا سيما في ظل التهافت الرسمي الفلسطيني والعربي على التطبيع.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد



- انطلاقاً من النقطة الأخيرة بالذات، طرح الأمين العام لـ ح. ز. ب الله معادلة القدس مقابل الحرب الإقليمية، وهي المعادلة الردعية التي أشار لاحقاً أنه يعمل على تكريسها، ولكن طرح الأمين العام بحد ذاته استند إلى القدرات الصاروخية المتميزة للحزب، وإلى إنجازات صواريخ غزة التي كان للحزب ولسورية وإيران فضل نقلها أو نقل خبرة تصنيعها إلى غزة.

• أما خامس إنجازات جولة "سيف القدس" فكان التفاعل الكبير الإسلامي والدولي مع القضية الفلسطينية، وهو ما تجلى في:

- التظاهرات العارمة التي عمت عدة دول إسلامية دعماً لفلسطين وقضيتها ومقاومتها، وهو ما لا يشكل أمراً مفاجئاً، بالنظر إلى مكانة القدس والأقصى (أولى القبلتين وثالث الحرمين) في عقول المسلمين حول العالم وقلوبهم، وبالنظر إلى التعاطف الفطري مع القضية الفلسطينية لدى الشعوب المسلمة حتى بين غير المتدينين.

- التظاهرات العارمة التي عمت المدن الغربية، من أستراليا إلى أوروبا الغربية إلى أمريكا الشمالية، دعماً لفلسطين وقضيتها، لعبت فيها الجاليات العربية دوراً كبيراً، مما لا

يقل من أهمية ظهور بعض علامات التحول لدى الرأي العام الغربي، وإن كانت بمقاسات "إنسانية" نوعاً ما، ولكن العيب علينا هنا لأننا لا نطرح قضية التحرير كحق وواجب مشروع لكل الشعوب الرازحة تحت الاحتلال، بالعربية قبل اللغات الأجنبية.

- الزخم الكبير الذي اتخذته حملة مقاطعة الكيان الصهيوني في الغرب، وانكشاف نفاق المنظومة الحاكمة في الغرب التي ما برحت تزعم تصدير "حقوق الإنسان" و"الديموقراطية" إلينا، فيما تقدم الدعم غير المشروط لكيان الاحتلال الغاصب وكل ما يرتكبه من جرائم.

- من الجدير لفت النظر هنا إلى نفاق الإعلام الغربي، لا سيما تقرير قناة BBC الذي تم تداوله بكثافة على وسائل التواصل الاجتماعي خلال المعركة والذي يتحدث عن طفلين "إسرائيليين" قُتلا، و61 طفلاً فلسطينياً ماتوا... فالقتل سببه واضح، أما الموت فقد يكون لأي سبب، وفي ذلك تبرئة ضمنية للكيان من مسؤوليته عن قتل الأطفال الفلسطينيين.

- أخيراً، على الرغم من هذا الإنجاز، نلفت النظر إلى أن عقدة النقص التي تحكم بعضنا، والتي تدفعه باتجاه السعي لنيل رضا الرأي العام الغربي بالذات، على حساب ثوابتنا وحقوقنا الراسخة، هي عقدة حان الوقت أن نتجاوزها، لا سيما أن كوكب الأرض يحفل بالشعوب التي يمكن أن تقف معنا بشروطنا، وبناء على برنامجنا، برنامج التحرير الكامل، وفي النهاية، من لا يقف معنا على أساس برنامجنا، هل يقف معنا فعلاً؟ لكن علينا نحن أولاً أن نتمسك ببرنامجنا، برنامج عروبة كل فلسطين، برنامج الميثاق الوطني الفلسطيني غير المعدل، والميثاق القومي من قبله، لا برامج التعايش المخزي من نمط "الدولتين" و"الدولة الواحدة" و"الكونفدرالية الثلاثية" وإلى ما هنالك من هراء تسووي.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

من المخاطر التي تحيط بإنجازات جولة "سيف القدس":

شكلت جولة "سيف القدس" فرصة تاريخية لدفن كل هراء تسووي أو تعايشي مع العدو الصهيوني. وقد ارتقى الشعب العربي الفلسطيني في فلسطين والشتات إلى مستوى التحدي في هذه المعركة كما في غيرها، فقدم سيلاً غزيراً من النضالات والتضحيات، وارتقى بسفقه السياسي إلى مستوى اللحظة، لا سيما في الأرض المحتلة عام 48، فطرح القضية كقضية صراع مع المحتل في كل فلسطين، لا كقضية تحسين لشروط التعايش معه، وهذا ما يعنيه الفعل البطولي لأبطال الطعن والدهس والعمليات كافة، وما عبرت عنه هتافات المظاهرات المناهضة للاحتلال في عموم فلسطين.

ويجب أن نصر على أن الإنجازات التي تحققت إنما تحققت بفضل نضالات وتضحيات هذا الشعب وقواه الحية ومناضليه ومقاتليه الميدانيين من كل الفصائل ومن خارجها. لكن ما جرى فعلياً هو تصدر ح.م.ا.س. للمشهد الإعلامي، وسعيها لتجيير كل الإنجازات إخوانياً، من أجل نيل الاعتراف بحكمها في غزة أولاً، ومن أجل تبييض صفحة التنظيم الدولي الغارق في التطبيع مع العدو الصهيوني ثانياً.

أما تبييض صفحة التنظيم الدولي، فقد تجلى في اختيار قيادة ح.م.ا.س. لزيارة المغرب أولاً بعد "سيف القدس" بناءً على دعوة من حزب العدالة والتنمية الإخواني الذي لم يكن قد جف بعد الحبر الذي وقع به اتفاقاً تطبيعياً مع العدو الصهيوني في سياق "اتفاقات أبراهام". كما قدمت قيادة ح.م.ا.س. بزيارتها المغرب بعد "سيف القدس" مباشرةً شهادات "حسن سلوك" ممهورة بالدم الفلسطيني لنظام رجعي مطبع.

لم يكن هذا مفاجئاً لمن يتابع سلوك الإخوان، فهم يهاجمون التطبيع الذي لا يكونون جزءاً منه فقط، لذلك تراهم يهاجمون تطبيع الأنظمة في الإمارات أو مصر، ويسكتون عن تطبيع الأنظمة في قطر أو تركيا، مع أن التطبيع التركي هو الأقدم والأوسع والأكبر في كل المنطقة، وهو التطبيع الذي تصاعد أسياً منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى تركيا! لكن كل تطبيع يقوم به إخواني "حلال" عندهم، وما عدا ذلك فهو حرام. والحقيقة أن كل تطبيع حرام، وكل تطبيع خيانة، بغض النظر عن هوية من يرتكبه، لكنه أكثر إثماً كلما اقترب المرء من الدائرة الأقرب لفلسطين، الفلسطينية أولاً، ثم العربية، ثم الإسلامية، ثم العالمية. ولولا تساهل قيادة ح.م.ا.س. في شأن التطبيع، لما انفتحت أبوابه على الكيان عبر القارات الخمس، وقد كانت شعوب الأرض معنا عندما كنا مع أنفسنا. فاتفاقية أوسلو بالذات فتحت أبواب التطبيع على مصراعيها أمام الكيان الصهيوني، وإثمها على من وقعها: قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، أما ح.م.ا.س.، فتلعب بمقاومة التطبيع (وبالقدس) انتقائياً بما يخدم أجندة التنظيم الدولي.

معركة اسمها "سيف القدس"، يفترض أنها خيضت من أجل القدس، كيف يتم إيقافها، فيما العدو الصهيوني يترنح، من دون الحصول على مكاسب واضحة فيما يتعلق بالقدس؟! وعلى ماذا حصلت قيادة ح.م.ا.س. مقابل الموافقة على الهدنة التي لم يكن يفترض أنها قرارها وحدها، لأنها لم تخض المعركة وحدها؟ لا نطلب المستحيل هنا، ولا نقول إن هذه الجولة، وهي جولة فحسب، كان يفترض أن تحرر كل فلسطين، لكن من المنطقي بالنظر للإنجازات الكبيرة التي تحققت في هذه الجولة أن نفرض على الأقل ما يلي:

- وقف اقتحام الأقصى،
- وقف إخلاء حي الشيخ جراح، وبطن الواد في سلوان، وحي العجمي في يافا،
- إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين خلال معركة "سيف القدس"، في الضفة الغربية، وفي الأرض المحتلة عام 48 حيث فاق عددهم الألفين.

لكن ما حدث فعلياً هو:

- استمرار اقتحام الأقصى من قبل الاحتلال وجنوده ومستعمره منذ اليوم الأول بعد وقف إطلاق النار حتى الآن،
- استمرار تهديد الشيخ جراح وغيره من الأحياء المهتدة بالإخلاء والتهديم وتنفيذ ذلك التهديد،
- تواصل حملات الاعتقال ومداومة المنازل بشراسة من قبل الاحتلال في الضفة الغربية وفي الأرض المحتلة عام 48.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

فكيف يمكن لمعركة عنوانها "سيف القدس"، أبلى فيها الشعب العربي الفلسطيني بلاءً حسناً، أن تتفجر اتفاقية وقف إطلاق نارها من فوق الأقصى والشيخ جراح ومعتقلي هبة "سيف القدس" في الضفة والأرض المحتلة عام 48؟!

إن ما حدث فعلياً هو اتفاق هدنة شروطه غير واضحة ولا معلنة (وهو ما أصر البعض على أنه انتصار)، ولكن ما تسرب من تقارير إعلامية أوحى أن جوهر الاتفاق يتعلق عملياً بالاعتراف بسلطة حماس في غزة، أي بتعامل مصر والأردن، والإدارة الأمريكية عبر الوسطاء مثل قطر، مع تلك السلطة كطرف رسمي، وهو ما يهيم الإخوان في فلسطين وفي غيرها في النهاية.

حتى المطلب الوطني المشروع والمحق برفع الحصار عن غزة يتم التعامل معه من خرم إبرة نيل الاعتراف الإقليمي والدولي بسلطة جماعة "الإخوان المسلمين" في غزة، مع خيار توسعتها إلى الضفة ضمن تفاهم ما كان مطروحاً بقوة في ظل إدارة أوباما-هيلاري كلينتون، فعاد ليصبح خياراً من بين عدة خيارات في ظل إدارة بايدن التي ضمت قطر وتركيا مؤخراً إلى الملتقى الدولي المختص بسورية في روما على سبيل المثال إلى جانب حلفائها التقليديين، مما يعني أن تفاهم الإدارة الأمريكية مع التنظيم الدولي عاد ليصبح خياراً ممكناً، كما في تفويض أردوغان بملفات أفغانستان أو أذربيجان أيضاً... وأردوغان، بالمناسبة، دعا لقوات دولية في فلسطين خلال معركة "سيف القدس"، تماماً مثلما تدعو إليه سلطة التنسيق الأمني.

فقط الإخلال بمسار الاعتراف بسلطة حماس على غزة إقليمياً ودولياً يمكن أن يدفعها لطرح قضية القدس بالصواريخ من جديد. وإيكم التمرين الصغير التالي لمن يرغب: عد إلى المؤتمر الصحفي الذي خص به يحيى السنوار قناة الجزيرة في 26 أيار، وقشّر العنتريات والعاطفيات وما شابه من الخطاب، وانظر إلى الطرح السياسي الأساسي الذي قدمه، وستجد ما يلي: "هناك توجه لإيجاد حل شامل للقضية من قبل واشنطن والأوروبيين، ونحن ندعوهم للالتزام بالقرارات الدولية، ونحن نؤيد هدنة طويلة الأمد"، وهي النقطة التي كان السنوار قد أكد عليها أيضاً في مقابلاته بالعبرية مع القناة الثانية "الإسرائيلية" المتوفرة على الإنترنت لمن يبحث عنها. ورسائله الفعلية هي: الإخوان هم الطرف الذي يجب أن تتوجهوا إليه.

هذا ليس مشروع تحرير إذن، بل مشروع تجيير، لفلسطين ولقضيته ولماومتها، وحتى لمحور المقاومة ذاته. ومن ير في مثل هذا الطرح مغالاة، فليطلب من حماس الطلب التالي، وهو طلب يفترض أنه منسجم مع خطابها الجماهيري، ولا يمس قيد أنملة بسيطرتها على قطاع غزة: اعلنوا غزة منطقة محررة، وبؤرة لتحرير فلسطين، كل فلسطين، بعيداً عن المشاركة في أي سلطة منبثقة من اتفاقية أوسلو وحكومتها ومجلسها التشريعي والتزاماتها... اعلنوا حل معادل السلطة الفلسطينية في غزة، وتأسيس سلطة متحررة من كل ما يمت لأوسلو بصلته، والبدء بمشروع التحرير انطلاقاً من غلاف غزة أولاً، أو من حيثما يرون مناسباً، فإن وافقوا، فعلى بركة الله، وليصبحوا قادة مشروع التحرير فعلاً، بمعونة كل شرفاء الشعب الفلسطيني والأمة العربية، وإن لم يوافقوا أو ماطلوا أو سوفوا، فليقف كل من يصفقون لحماس من دون وعي لأجندتها أمام الحقيقة المرة وليبحثوا عن مشروع تحرير حقيقي حتى لا يتم تجييرهم إخوانياً.

ليكن واضحاً أن كل مقاوم، مهما كانت هويته الفصائلية، سواء كان من القدس ام أو كتيبة الأقصى أو كتيبة أبو علي مصطفى أو سراب القدس أو أي فصيل، أو من فرسان الطعن والدهس ورمات الحجارة من خارج أي فصيل، هو أخونا ورفيقنا وحبينا، ولا يحق لأحد في الكون أن يزايد عليه أو عليها، وهذا المقاوم هو ما يجعل القضية حية أصلاً، وما يجعلها تستمر، وهذا بديهي عند كل متمسك بنهج المقاومة والتحرير الكامل وعروبة أرض فلسطين، أما مناقشة الخطوط السياسية ومواقف القيادات فحق مشروع لكل معنى بالقضية الفلسطينية لا في فلسطين والوطن العربي فحسب، بل في محور المقاومة والعالم بأسره.

زيد النخالة ود. طلال ناجي، على سبيل المثال لا الحصر من بين القيادات الفلسطينية، لم ينسوا أن يشكروا سورية أو حماس على دورهما في وصول صواريخ الكورنيت والخبرات الصاروخية إلى غزة، فهذه الصواريخ والخبرات لم تأت إلى غزة من خلال قطر أو تركيا أو الأردن أو محمد مرسي، لكن الجحود وحده هو ما يجعل



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

الإخوان يتجاهلون فضل داعمي المقاومة الحقيقيين طمعاً في مقعد على مائدة الحلول التسווوية، تماماً كما كان يفعل ياسر عرفات وتلامذته.

حسن نية محور المقاومة في السعي للتوفيق بين حـمـ ا.س وسورية لا يعوض عن قراءة الواقع جيداً: هل تمثل إعادة تعيين خ.الد مش.عل رئيساً لحـمـ ا.س في الخارج تراجعاً عن نهج التآمر على سورية؟ فهل يتصور عاقل أن سورية يمكن أن ترضى بالتعامل مع حـمـ ا.س من دون نقد ذاتي ومراجعة، ومن خلال خ.الد مش.عل بالذات؟

هناك من شطحوا باتجاه التأكيد على أن سورية وحـمـ ا.س ستعودان معاً قريباً جداً، لكن هؤلاء أخذتهم العاطفة خلال معركة "سيف القدس" على ما يبدو، فلم ينتبهوا إلى أن سورية تقرأ جيداً أولوية ولاء حـمـ ا.س الإخواني على ولائها الوطني الفلسطيني. وما دام ولاؤها الإخواني هو مرجعيتها الأولى، فإنها تمثل خطراً على الأمن الوطني السوري، لا الأمن القومي العربي فحسب، ولذلك كان تقديرنا أن عودة المياه إلى مجاريها بين سورية وحـمـ ا.س، كما كانت قبل عام 2011، لن يحدث قريباً في ظل شروط الواقع الراهنة، التي عادت حـمـ ا.س ورسختها في زيارتها إلى المغرب، وقد ثبت أن مثل هذا التوقع ما برح صحيحاً، ورأينا المتواضع أنه سيبقى صحيحاً في المدى المنظور. وعلى من يتسرعون في الاستنتاجات أن ينتبهوا أن سورية تعرف كيف تميز جيداً بين دعم المقاومة ودعم أجندة الإخوان الإقليمية، وهو ما نتمنى أن ينتبه إليه الإخوة في محور المقاومة.

حـمـ ا.س اعتقدت أن نصر الشعب الفلسطيني هو نصرها وحدها، ولذلك راحت تتصرف فيه كما تشاء، فجعلتها غطرسها تكشف أوراقها حتى قبل أن ينجلي غبار المعركة (تماماً كما فعلت عندما اعتقدت أن إدارة أوباما على وشك أن تسلم كل المنطقة للتنظيم الدولي)، بتوظيف كل التضحيات الكبيرة والدم المهرق الذي سفك من أجل فلسطين في خدمة هدف تنظيمي تافه ضيق الأفق هو تلميع تنظيم الإخوان المطبوعين في المغرب، وكم كانت مثل تلك الزيارة صدمة للمصنفين لـ حـمـ ا.س، ولقيادات في محور المقاومة، لكن من قرأ الواقع جيداً لا بد أنه لاحظ أن:

- الرباعية الدولية أصدرت بياناً ضد إخلاء الشيخ جراح وسلوان،
- الدولة العميقة في الولايات المتحدة الأمريكية شنت حملة شعواء عبر وسائل إعلامها الرئيسية على ننتياهو خلال معركة "سيف القدس" تنهه فيها أنه فتح المعركة لغرض البقاء في الحكم، لا لدواعٍ أمنية حقيقية، وكانت شبكة CNN من القنوات التي اشتركت في هذه الحملة،
- منصور عباس، الخارج من عباءة الإخوان في الأرض المحتلة عام 48، ولكن الذي يستطيع الإخوان بالرغم من ذلك أن ينفوا علاقتهم به، هو الذي قدم طوق النجاة لحكومة بينيت-لابيد، كبديل لحكومة ننتياهو، وهو الذي يمثل "الحركة الإسلامية الجنوبية" التي تشارك في الكنيست، وتشارك الآن في الحكومة "الإسرائيلية" الجديدة،
- الإدارة الأمريكية بعد تزامب تحمل شيئاً من إرث أوباما وهيلاري كلينتون الذي يرى في الإخوان المسلمين حليفاً أقرب لها من التحالف السعودي-الإماراتي، وبالتالي فثمة احتمال للعودة إلى ذلك الخيار، على الرغم من معارضة شديدة له من الليكود والجمهوريين في الولايات المتحدة.

- أن إطلاق الصواريخ وتقديم الشهداء اشتركت فيه فصائل عديدة في غزة، ولم يقتصر على حـمـ ا.س.

لا يجوز أن نتوه إذن في فلسطين في ثنائية القصر والإخوان، كما في الأردن مثلاً أو المغرب، فالسلطة الفلسطينية مشروع تنسيق أمني مع العدو الصهيوني، لكن حـمـ ا.س ليست بديلاً لها، إنما بديل طامحٌ للحلول محلها في رئاسة السلطة، على استعداد للتفاهم مع الغرب على هذا الأساس، تماماً كما راشد الغنوشي على استعداد للتردد على اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وعلى استعداد لمنع تجريم التطبيع في الدستور التونسي، للحفاظ على الحكم، وكما حزب الإخوان في المغرب على استعداد لتوقيع اتفاقية تطبيع مع العدو الصهيوني للبقاء في الحكم، وكما كان الحزب الإسلامي العراقي على استعداد للدخول في مجلس الحكم الانتقالي الذي أسسه بريمر من أجل الدخول في الحكم، إلخ... إلخ... وسيرة الإخوان في المنطقة معروفة منذ الخمسينيات والستينيات، وما أدراك ما الستينيات!؟



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

باختصار، لا نريد أن نتوه في فلسطين في ثنائية السلطة والإخوان، وكلاهما ليس خياراً، إنما الخيار واضح لأي شعب تحت احتلال، وهو برنامج التحرير، ومثل هذا البرنامج في فلسطين له عنوان محدد، وهو الميثاق الوطني الفلسطيني غير المعدل والميثاق القومي من قبله، وكلاهما يؤكد على عروبة فلسطين من النهر إلى البحر، وأن تحريرها مشروع قومي، وكل برنامج غير هذا يضيع الإنجازات والتضحيات.

معركة "سيف القدس" في ميزان الصراع العربي-الصهيوني

بشار شخاترة



أعادت عملية "سيف القدس" طرح النقاش مجدداً حول موضوع حرب التحرير وحرب التحريك، في استحضار لحرب تشرين التي انحرف بها السادات إلى حرب تحريكية بالتفاهم مع واشنطن لتليين الصلف الصهيوني الذي أصابه الغرور بسبب حرب عام 67.

المعركة الأخيرة التي تمحورت حول عنوان القدس نرى أنها طرحت مضامين جرى عليها قطار الزمن الربيعي، ومن تلك المضامين الأبعاد الاستراتيجية التي يمكن أن تطالها المقاومة من حيث بلوغ الغايات الكبرى أو من حيث الجدوى العملية والعسكرية للمقاومة في ميزان الصراع، وكذلك إعادة طرح منهجية التفكير التي تجاوزها الزمن الطائفي حول حقيقة وجود الكيان الصهيوني وعوامل استمراره وجدواه الاستراتيجية بالنسبة للمركز الإمبريالي الذي صنعه، وهل ثمة تحولات حقيقية في الغرب تستدعي إعادة النظر في الحفاظ على الكيان الصهيوني ودوره الوظيفي؟

قبل أن نخوض في تساؤلاتنا من المهم الإشارة إلى الأهمية الوجدانية للقدس لدى عموم أمتنا العربية حيث أعادت بسط القضية العربية المركزية على كامل الفضاء الإعلامي المرئي والمسموع والفضاء الإعلامي الاجتماعي عربياً، وشكلت استفتاءً حقيقياً على موقف الأمة الحقيقي من القضية الفلسطينية والتي نرى أنها أبرزت مشاعرنا القومية وأكدت على أنه ما يزال ما على أرضنا العربية ما يجمعنا ويشد بنياننا القومي ويحطم جميع أغلال الطائفية والمناطقية والإقليمية البائسة التي جهدت حكومات التفرقة في تكريسها وتعزيز الانتماء إلى الأقاليم والمناطق وحتى العشائر على حساب انتمائنا القومي، فقضية فلسطين لخصتها القدس وجمعت حولها العرب مسلمين ومسيحيين متخطية المسميات الدارجة منذ عقدٍ ونيف مثل شيعة وسنة، وشماليين وجنوبيين، وما شئت من التسميات الهزيلة في دلالتها الضيقة، من رحم مقدمتنا هذه نأتى إلى جملة الأسئلة التي بدأنا بها حول الجدل الذي أعادته المعركة الأخيرة حول القدس وتوجتها عملية "سيف القدس" بجانبها العسكري.

أثناء اشتعال لهيب المعركة وسقوط القذائف الصاروخية على المدن العربية الفلسطينية المحتلة والمشاهد التي بثتها وسائل الإعلام المختلفة وهي ترى العدو تحت النار، ألهبت المشاعر العربية التي عندما أحست بالفرصة انطلقت نحو الحدود الفلسطينية تلبيةً لنداء القدس، نداء فلسطين، حيث تلقفت الحدث العيد من الجهات ومعها وسائل الإعلام، كل حسب غاياته في توظيف للحدث، وفي التأسيس لمفاهيم قصد منها أن تتجاوز الجوهر التاريخي والسياسي والجيوسياسي للصراع العربي-الصهيوني، وكذلك انطلقت الآلة الإعلامية للترويج للخط الديني الإسلامي بشكل عام، والإخواني بشكل خاص، كما رافق المعركة الأخيرة تقصداً للنيل من الجيوش العربية ومن دون تخصيص لصالح حلول فكرة المقاومة كبديل حقيقي في مسيرة التحرير، فقد لوحظ الترويج على نطاق واسع أن التحرير أصبح بين عشية وضحاها، وأن ساعة بعينها حددتها المقاومة جعلت مما يليها بوابة النصر والتحرير؟



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد



في الحقيقة، وإن كان المطلوب هو رفع معنويات الشارع وإقامه في المعركة، وهذا مهم في تصليب إصرار وعزيمة المقاومين، لكنه يجب ألا يكون على حساب الوعي الشعبي الحاضن للمقاومة فلسطينياً وعربياً، حتى لا تصاب هذه الجماهير بالإحباط، إذ من المهم التأكيد على أن التحرير ليس بمقدور تنظيم أو فصيل أو توجه معين، فهذا يقتضي جهد قوى الأمة العربية، وهذا يعود بنا إلى حقيقة أن معركة التحرير، وبحق، أكبر من أي فصيل أو تنظيم، وإلا فإنها تكون خيانة من تلك الجهة أو التنظيم إن كان بمقدورها ولا تفعل، وقناعتنا الراسخة أن أداة التحرير الشامل موجودة واقعيّاً وهي عموم قوى الأمة العربية ولكنها غير موجودة من الناحية التنظيمية، وهذا ليس من باب التقليل من تضحيات الشهداء وليس من باب التينيس، ولكن من وجهة نظر قومية في تحليل الصراع العربي-الصهيوني وعناصره، وليس من وجهة نظر الواقعية الليبرالية، بل الواقعية التي تؤمن بشمولية المعركة وجذريتها وتعدد مستوياتها قومياً من الوحدة إلى التحرر إلى هزيمة التخلف وامتلاك القرار المستقل، التي يتبعها بناء أداة التحرير، وهي الجيش النظامي الذي يتبع وسائل الحرب الحديثة تسنده في معركته قوى المقاومة، ولا بأس في ذلك إن كانت ظروف المعركة وظروف الواقع الراهن تستدعي وجودها ومشاركتها كما نؤمن من منطلق أن استمرار المقاومة وإشغال العدو وتحقيق مكتسبات على حسابه وزعزعة استقراره وإبقاء شعلة المقاومة ونيران الحرب مشتعلة ضرورة عملية تمهد الطريق للتحرير الشامل.

على هامش الحرب الأخيرة، التي تمثل من الناحية الفعلية معركة ضمن هذه الحرب المستمرة منذ أكثر من قرن ونصف، برزت قراءات تتساق مع الحماس الذي تركه زخم المعركة وتميز بلاء المقاومة فيها عما سبق من معارك، وهذه القراءات بتقديرنا خاطئة لطبيعة المرحلة التي يمر بها العالم عموماً، والمرحلة التي يمر فيها المركز الإمبريالي الأمريكي على وجه الخصوص، فمن مواقف أعضاء الكونغرس الأمريكي التي طالبت الإدارة بوقف صفقة الأسلحة لتعويض المخزون الصهيوني بسبب المعركة، أو من الانتقادات التي وجهها أعضاء كونغرس ومنتقون وصحفيون أمريكيون ومراكز إعلامية مرموقة للكيان الصهيوني بدا وكأن هناك تحولاً في النظرة للكيان تقتضي الانتباه لها.

هنا أخذ مفكرون وكتاب عرب ومؤسسات إعلامية عربية من شتى الألوان تتعاطى مع المسألة وكأن الفرصة مواتية لاقتناص التحول، فمن جهة الإعلام المحسوب على بعض محور المقاومة نفخ في المسألة وضخمها في سياق تعميم خطاب سياسي إسلامي الطابع كواجهة للمنطقة في المرحلة الجديدة، والتي بات مصطلحها المفضل أن ما قبل "سيف القدس" ليس كما بعده، والترويج لدلالات خفية برأينا، وللأسف أنه يمكن وراثته المنطقة من الكيان الصهيوني كأداة للغرب الاستعماري من قاعدة التبعية والخضوع للإمبريالية الغربية إلى قاعدة الندية معها والتشاركية والتقديم لهذا الطرح يتسم بالتورية والذكاء الذي لا يترك مجالاً لنقده بشكل مباشر لأنه لا يُقدم بهذا الوضوح أو الصراحة، ولا يترك بينة دامغة عليه ولكنه يُقرأ من بين السطور ومن خلال توجيه الحوار الإعلامي.

وعلى الضفة المقابلة يجهد منظرو إعلام البترودولار في تسويق جدية وفعالية مواقف السياسة العربية المعتلة (المعتدلة) التي فتحت الأبواب إلى "سلام أبراهام"، فهناك جهة ترى أن فرصة دمج الكيان في المنطقة متاحة في إطار التحول الغربي في صراعه العالمي مع القوى الصاعدة على الساحة الدولية ليصبح الكيان الصهيوني مكوناً طبيعياً في المنطقة على قاعدة المساواة وأنه لا مجال في الاستمرار في تمييز الكيان الصهيوني عن غيره في المنطقة لأن الظرف الدولي يتحول بسرعة، فلماذا لا يتم النقاط الفرصة ودمج الكيان الصهيوني على قاعدة جديدة من أسس (السلام) وهي أن المركز الإمبريالي مشغول في معارك أكبر من منطقتنا وأن الفرصة مواتية للحصول على تنازلات هامة لصالح القضية الفلسطينية،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

وهذا خطاب يريد أن يرث الكيان الصهيوني إن جاز التعبير على قاعدة بقائه والتعايش معه ودمجه في المنطقة تحت السقف الأمريكي وعلى قاعدة المساواة مع الكيان في العين الأمريكية بالاستفادة من دروس معركة "سيف القدس"، التي وضعت الكيان في وضع جديد أمام المقاومة الفلسطينية لم يكن معهوداً من قبل. من هذه النافذة أعدنا التذكير بحرب السادات التحريكية، وهذه النغمة السياسية تتفق تماماً مع تفكير الإدارة الأمريكية الجديدة وبيانات الساسة الأمريكيين التي أشرنا إليها هنا ومن خلفها المؤسسة الأمريكية التي تخلصت من ترامب الذي عرى أسس السياسة الأمريكية التقليدية ومسارها الاستراتيجي وسار بمسار مغاير يمالئ القواعد الشعبية على حساب النخبة وعلى حساب رؤيتها الدولية.

لم يعد خافياً أن الإدارة الأمريكية الجديدة والتوجهات الاستراتيجية للمؤسسة الأمريكية تتجه نحو العملاق الصيني والروسي، ويلتقي محورا الخطاب اللذان أشرنا إليهما أعلاه في القول إن أولويات الولايات المتحدة باتت في مكان آخر من العالم على حساب منطقتنا، وهنا تكمن الفرصة بنظرهم بأن الكيان تراجع دوره فواحد يرى أن الكيان اقترب من نهايته لرفع الغطاء عنه، والثاني يرى أن دوره تراجع، لكن بدرجة أقل يمكن معها الوقوف معه على قدم المساواة، ولكن لا يوجد من بين هذين التوجهين ما يعبر عن حقيقة الرأي القومي العربي بشأن التطورات الدولية وفي سياقها الإقليمي معركة "سيف القدس"، فالظاهر على ساحة الصراع الإقليمي في منطقتنا إما مناطق للإمبريالية العالمية ليرث المنطقة أو متفاهم ليكون شرطي هذه المنطقة أو متخاذل يريد أن يبقى مع الكيان الصهيوني تحت سقفاها، ولا شك في أن الغائب الحاضر هو الموقف العربي الحقيقي الذي عبرت عنه الجماهير العربية بالتفافها ومساندتها للقدس ولقضية الأمة المركزية فلسطين العربية وما عبر عنه العرب الذين لا يزالون صامدين في المدن التي احتلها العدو عام 48 من صدق انتمائهم وتصديهم للعدو في مدنهم وقراهم، هذا البيان القومي الذي سطرته الجماهير العربية بشكل جاد وواقعي أفصح عن الموقف الطبيعي وهو أنه لا وجود للكيان بيننا وعلى أرضنا ولا مجال له للاستقرار وأن مصيره الزوال كما أفصح هذا الموقف عن أن نتيجة الصراع صفرية بالنسبة للكيان الصهيوني، وهذه الجماهير تدرك بفطرتها أن هذا الكيان هو القاعدة المتقدمة للإمبريالية العالمية وأداتها لتمزيق وطننا، وهي لا ترى في المواقف الأمريكية والغربية إلا تلوناً فقط وأن غاياتها الأساسية بقاء الكيان وتمتين قواعده لأن الغرب يفهم أكثر من غيره أن هذا الكيان سيزول إذا استمرت معادلات الصراع على وتيرتها القائمة من دون اعتراضها أو عرقلتها بما لا يسمح للكيان من أداء المهمة الموكلة له.

اتفاقاً مع توجه الجماهير العربية ووعيها التقليدي للصراع المفروض على أمتنا يعنيها وبشدة أن نوضح أن التنبؤ الغربي لصناعة كيان يهودي في بلادنا ليس من قبيل التعاطف مع اليهود أو من قبيل الشعور بالذنب تجاههم نتيجة قرون من الصراعات الدينية في أوروبا، وإنما نتيجة قراءة متأنية وهادئة للإمبريالية البريطانية في القرن التاسع عشر لصعود مصر في عهد محمد علي باشا وبقيادة ابنه إبراهيم باشا في معارك التحرير التي خاضها في بلاد الشام والجزيرة العربية من الاحتلال العثماني، ولكي لا تتكرر هذه التجربة من جديد وصعود منافس يهدد مصالح بريطانيا التي أصبحت من الناحية الواقعية مصالح الإمبريالية الغربية عموماً بعد أن سوت خلافاتها بالنهاية بعد القضاء على النازية، لذلك لا بد من قاعدة متقدمة تؤدي هذه الوظيفة وهي عرقلة وحدة هذا الوطن وضمّان السيطرة عليه، ولخلق كيان يستطيع البقاء وإقناع قاطنيه بالبقاء تم توظيف خرافة "أرض الميعاد" و"شعب الله المختار"، وهذه الخرافة ساندتها المسيحية المتصهينة التي تؤمن بالخلاص الإلهي بعودة المسيح وبشرط عودة اليهود إلى "أرض الميعاد"، هذه التي أصبحت عقيدة دينية لدى قسم من الشعب البريطاني والأمريكي، هذا لنقول إن وجود الكيان الصهيوني واستمراره ليس مصلحة إمبريالية فقط ولكنه عقيدة دينية يدين بها الملايين من البشر في أهم مركزين رأسماليين بريطانيا والولايات المتحدة، والقادة المعتمدون بهذه العقيدة يتولون مواقع مهمة في هاتين الدولتين، ونضيف من الشعر بيتاً أن مقولة التحول الأمريكي نحو الصراع الأهم الصين وروسيا، مما يجعلها أقل اهتماماً بما يسمونه منطقة "الشرق الأوسط"، فإن الدعم الغربي كان موجوداً إبان الصراع مع الاتحاد السوفياتي السابق الذي كان صراعاً أشد منه اليوم ولم تلتفت الولايات المتحدة عن دعم الكيان أو تشيخ بوجهها عنه. إن الموقف العربي المتلف حول فلسطين وبشكل استبعاد الحيوية للأمة العربية بشعورها بوحدتها من نافذة فلسطين والقدس سيؤكد قناعة الإمبريالية العالمية بأهمية وجود الكيان وضرورة دعمه وتقوية أركانه، وهذا ما التزمت بها جميع الدول الغربية عقب المعركة الأخيرة، من هنا بدأت تملأ الدنيا أخبار التسويات والحلول طويلة الأمد ومن باب المقاومة نفسها ممثلة بحركة حماس بعد أن رفعت سقف توقعات الجماهير في المعركة الأخيرة وظهرت بموقف قوي، وهنا مصدر مخاوفنا من أن تتكرر تجربة فتح وعرفات من جديد، فالحلول التصوفية التي يخطط لها العقل الأمريكي والتي تتفق مع مرحلة التوجه الأمريكي لمواجهة صعبة مع الصين وروسيا، والتي تقتضي تهدئة منطقتنا من دون أن تتنازل عن خططها بحق أمتنا وأهمية وجود الكيان،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

لهذا اقتضى الأمر أمريكياً أن يكسر رأس ننتياهو (غولدا مائير الثانية) وإخراجه وتصفية الأجواء لحل أو هدنة طويلة كما يسمونها تضمن استمرار العدو وتقليم أظافر مقاومة هذه الأمة للعدو، كما يفتضي أن يتصدر الحل من يمتلك شرعية السلاح، ومن حقنا إثارة المخاوف من فكرة الحرب التحريكية. ومن دروس المعركة لاحظنا أن العدو- بالرغم من التبدل الذي طرأ فيها عما سبقها - أعد نفسه جيداً لمواجهة عسكرية، وهذا واضح من حجم الخسائر التي لحقت به سواء بشرياً أو مادياً، مع الأخذ بالاعتبار الدعم الغربي اللامحدود له لتعويض أي خسائر مادية، وهو ما يؤكد على أن المقاومة هي رأس حربة في المواجهة مع العدو لكنها غير قادرة على التحرير الشامل، لأن معركة التحرير الشامل تحتاج إلى مواجهة عسكرية بين جيوش منظمة، أو هكذا نعتقد، لأن تركيبة العدو وترسانته وأهداف وجوده واستمراره تقتضي أن يوظف هذا الكيان كامل قوته للدفاع عن وجوده، وإحساس العدو بالخطر الوجودي سيدفعه دفاعاً لخوض معارك برية وجوية وحتى نووية تكتيكية إن لزم الأمر، وهذا ما ليس بمقدور المقاومة القيام به، ولا تمتلك البنية البشرية واللوجستية لذلك، وننوه إلى أن شكل المعركة في جنوب لبنان مثلاً يختلف عن شكله على أرض فلسطين، لهذا مع تأكيدنا على ضرورة وجود واستمرار المقاومة المسلحة لكن علينا ألا نستهيئ بالعدو، وألا نستهيئ بضراوة معركة التحرير الشامل، لأن خوضها سيكون مع القوى الإمبريالية ذاتها وليس مع الكيان الصهيوني وحده، وهذا يتطلب حشد قوى الأمة وتوحيدها وخوضها بطريقة الحروب الحديثة وليس فقط الاكتفاء بالحرب الشعبية (مفهوم حرب العصابات).

مراجعة نقدية للبعد القومي والعروبي في خطاب علال الفاسي

إبراهيم حرشاي

على غرار الجيل الأول للحركة الوطنية بالمغرب العربي، ينحدر علال الفاسي من مدرسة تقليدية حاولت إصلاح الخطاب الديني عن طريق إقحام مفاهيم ليبرالية وقيم مستوحاة من الفكر الإصلاحي بالمشرق العربي لطرح بديل حضاري أمام مجموعة من التحديات التي كان يواجهها المجتمع العربي-الإسلامي الخاضع للاستعمار والمتعطل لأفق نهضوي يزيل قيود التخلف والاستعمار عنه. وتعرّف هذه الحركة مغربياً تحت مفهوم "السلفية الجديدة"، إذ تشكّل محتواها قبل بروز علال الفاسي على الساحة الثقافية والسياسية للمغرب الأقصى، وتعود أصولها الأولى إلى الشيخين أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي اللذين ساهما في تحويل السلفية في المغرب من "سلفية وهابية" - تنبأها المخزن المغربي كأيديولوجيا رسمية إبان حكم السلطان مولاي سليمان لمقاومة تمردات الطرق الصوفية - إلى "سلفية جديدة" مهدت الطريق نحو ظهور الحركة الوطنية المغربية بخطاب يجمع بين المرجعية التقليدية الدينية وبعض منطلقات الحداثة الغربية.

وقد برز الفاسي بهذا الخطاب سواء كرجل سياسة أم كأحد أهم منظري الحركة الوطنية وحزب الاستقلال الذي ترأسه حتى وفاته سنة 1974، حيث عبر بمراحل متعاقبة إبان مسيرته الحافلة عن الأفكار الحداثية الليبرالية الملخصة في كتاب "النقد الذاتي" الذي عالج فيه الإصلاح الديني وضرورة نشر التعليم وإقامة منظومة نيابية دستورية وتحسين موقع المرأة وضمان حقوقها في ظل مجتمع يغلب عليه الطابع الأبوي والذكوري. كما عرف الرجل بمساهماته في الفكر الديني وتوج ذلك بكتابه "مقاصد الشريعة ومكارمها"، ناهيك عن مساهمته الأدبية التي تركت أثراً في النمط الأدبي الخاص بتلك الحقبة، ألا وهي القصيدة الوطنية المغربية.

قبل التطرق إلى بعض القضايا المفصلية في تاريخ المنطقة المغاربية والوطن العربي عموماً وتقييم تفاعل علال الفاسي معها، يتوجب الوقوف ولو بإيجاز عند التصوّر العام الذي تبناه الرجل بخصوص العروبة والقومية العربية. فمن المعروف أنه في سياقات محددة كان يرجح لما هو وطني عمّا هو عربي وما هو عربي عمّا هو إسلامي. فالمدرسة السلفية التي مثلها الفاسي كانت تطرح مسألة تحقيق "الإخاء الإسلامي" عن طريق الوحدة الوطنية أولاً، وتحقيق التقارب بين "الشعوب" العربية ثانياً، وتعريب الشعوب الإسلامية ثالثاً. وقد برر الفاسي هذه الحلقة الأخيرة من أفكاره انطلاقاً من إيمانه بأن اللغة العربية قادرة على أن تكون لسان العالم الإسلامي وصلة الوصل بين كل أفرادها. أما بالنسبة للوحدة العربية، فقد خصص الفاسي في كتابه الشهير "الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي"



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد



رؤية سياسية لشرعنة انضمام المغرب للجامعة العربية. حيث أكد الفاسي انطلاقاً من المصلحة المغربية على أهمية نسج علاقات متينة بين المغرب والبلدان العربية بناءً على الروابط التاريخية والثقافية التي لا حصر لها. وأوضح في هذا الصدد أن مسعى هذا التشابك في العلاقات هو جمع سائر الدول العربية في عائلة العروبة الكبرى عبر صيغة اتحادية. وفي الوقت ذاته، أكد الفاسي على عروبة المغرب معتبراً إياها هبة من هبات الإسلام، حيث انتشرت العربية انتشار العقيدة الجديدة، وغرس الذوق العربي في نفوس المغاربة على يد علماء الإسلام حتى أصبح جزءاً من الحاسة الدينية في أعماقهم. ولعل أبرز ما جاء في هذا السياق عن عنصر التاريخ في العلاقة المغربية بالقومية العربية هو استمرار ارتباط تاريخ المغرب بالتاريخ العربي رغم استقلاله سياسياً عن المشرق منذ تاريخ بعيد. ويشير الفاسي في هذا السياق إلى شخصيات مغربية ساهمت في بناء الحضارة العربية كالفيلسوف ابن رشد والجغرافي الإدريسي والرحالة ابن بطوطة باعتبارهم رموزاً تاريخية عززت إلى جانب اللغة المشتركة الروابط العاطفية التي تجمع بين المغاربة والمشاركة.

يلاحظ للوهلة الأولى أن الفاسي يعتمد في هذا الطرح على مكانة الإسلام في إرساء الروابط التاريخية بالمشرق، بل يمكن الذهاب

إلى فرضية أن ما حصل من ترابط بين العروبة والإسلام بالمغرب سببه الدور الذي لعبه الإسلام كمصدر رئيسي لعروبة المغرب الأقصى، وأن تلك العروبة المغربية لا تكتسب أي مضمون سوى بالإسلام. أما طرح العروبة من منظور يفصلها عن الإسلام فكان أمراً مرفوضاً وغير مفهوم لدى معظم المغاربة لأسباب مختلفة، وقد يكون من أبرز تلك الأسباب "التكوين التاريخي للكيان السياسي المغربي"، أي استقلاله وتطوره سياسياً خارج إطار الإمبراطورية العثمانية التي أقيمت في المشرق، بالإضافة إلى حقيقة اجتماعية مغربية متمثلة في عدم معايشة الإنسان المغربي فئات عربية غير مسلمة مقارنة بالمجتمعات المشرقية التي اتسم بها العنصر العربي بالتعددية الدينية والطائفية.

يمكن تسجيل ملاحظة أخرى في تعاطيه الإيجابي مع التاريخ المغربي قبل الإسلام خاصة تاريخ قرطاج، فقد تنبأه كتاريخ قومي تيمناً بما فعله مؤرخ "جمعية علماء المسلمين بالجزائر" أحمد توفيق المدني. ويعالج الفاسي في مستهل كتابه "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" عظمة إمبراطورية قرطاجية ويصفها بالمرحلة التمهيدية للفتح الإسلامي والتعريب بناءً على الفقرة الآتية: "اتحاد المواطنين المغاربة كلهم والتفاهم حول هانيبال بمجرد ما دعاهم لإنقاذ الوطن من المستعمرين الرومانيين، ولقد كانت الحرب الفينيقية الثانية عنوان القومية المنسجمة في أحدث صورها، إذ اجتمع المغاربة قاطبة حول راية واحدة يدافعون عن وطن محدود بحدوده الجغرافية التي يسدها البحر من كل جهاتها. فلا تنفتح إلا عن طريق الصحراء لتتصل بالبلاد التي ورد منها إخاء الفينيقيين ليمهد من بعده لنور الإسلام ووحدة اللسان العربي".

ويقر الفاسي في هذا الجانب بوجود "عروبة قديمة"، ويطلق عليها عبارة "العائلة التي تسمى اليوم بالعربية"، ويؤكد على صراعها الدائم مع الكتلة اللاتينية، كما يقر بتأثيرات الحضارات المحيطة بها على تركيبها الذهنية. وقد ذهب الفاسي إلى حد إبراز طرح قطري مغربي بعد إضفاء صفة "الأمة المغربية" على هذه الحضارة قبل الإسلام، والتي استمرت حسب تصوّره بعد الإسلام لتدفع المغاربة للاستبسال أمام الهجمات المتواصلة لإسبانيا والبرتغال. وهنا نقترح كثيراً من موقفه القطري الذي أطلقه تحت عنوان "المغرب الكبير" مع ظهور القضية الموريتانية، واندلاع حرب التحرير الجزائرية، والمرحلة الحساسة التي مرّ بها المغرب وباقي الأقطار المغربية عقب موجة الاستقلال التي اقترنت بصراع حاد بين التيار القطري البراغماتي وبين تيار يؤمن بوحدة المصير والكفاح المسلح.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

عرفت بداية العقد الثالث من القرن الماضي أول امتحان حقيقي لعروبة المغرب، تحت سقف سياسة "الظهير البربري" التي أطلقتها الحماية الفرنسية ساعيةً من خلالها إلى فصل المناطق الناطقة باللهجات البربرية على أساس ديني عن طريق إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالأعراف القبلية البربرية. ولم يكن سلاح علال الفاسي وكل النخبة الوطنية المتواجدة آنذاك بمدينة فاس، وتحديدًا بجامعة القرويين، سوى تأجيج الولاء للإسلام، بقناعة أن الإسلام وحده قادر على إحباط المؤامرة الفرنسية لتجزئة الشعب المغربي. ويعزو الفاسي فشل الخطة الفرنسية إلى غياب ما يسندها من الواقع التاريخي والجغرافي، فليس هناك مثلاً إقليم يخص البربر وآخر يخص العرب في المغرب. وقد أورد الفاسي فقرة بكتابه "نداء القاهرة" عن عروبة البربر، موضحاً أن لا شيء يؤثر على عروبة القبائل البربرية التي تتكلم أيضاً بالعربية في المسجد وفي السوق وفي الاتصال بغيرها من القبائل. وقد أدت "السياسة البربرية" للاستعمار الفرنسي وقتها إلى نتائج عكسية، إذ كان رد فعل الحركة الوطنية المغربية وخلفها الشعب المغربي التمسك بمقومات الكيان المغربي الثلاثة: العروبة والإسلام والوحدة الوطنية. والحقيقة أن التاريخ الرسمي المغربي يضخم دور "النخبة" الفاسية، وفي مقدمتهم علال الفاسي، في التصدي للسياسة "البربرية" لطمس حقيقة مقاومة مخططات المستعمر بالمغرب العميق، أي بالبوادي والمناطق الناطقة باللهجات الأمازيغية التي تشبثت باللغة العربية الفصحى كلغة للتعليم والتثقيف. ويعتبر مثلاً نموذج السياسة التعليمية والثقافية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي بمنطقة الريف بعشرينيات القرن الماضي أفضل مثال لمقاومة السياسة البربرية للاستعمار. كما يضاف إلى ذلك مطالب قيادة انتفاضة الريف سنة 1958 التي انتفضت ضد سياسة حزب علال الفاسي وجعلت من تعريب المؤسسات والإدارات العمومية أهم مطالب قيادة الانتفاضة آنذاك.

أما عربياً، فقد كانت القضية الفلسطينية من بين القضايا التي عززت الوعي القومي العربي لدى المغاربة وباقي الشعب العربي إبان النصف الأول من القرن الماضي، وكانت "ثورة حائط البراق" أول حدث تفاعلت معه الحركة الوطنية المغربية تضامناً مع الشعب الفلسطيني. وقد نددت جل الأحزاب المغربية بقرار التقسيم وعلى رأس هذه الأحزاب حزب الاستقلال الذي تزعمه الفاسي. وما يلفت النظر هو حرص الحزب الشديد على التمييز بين الصهيونية واليهودية حيث أوضح بيان الحزب هذا الجانب ما يلي: "إنّ موقفنا ضد الصهيونية لا يقتضي العداء لليهود المواطنين الذين يتمتعون بالجنسية المغربية وتشملهم رعاية جلالة الملك". ولا يوجد أدنى شك بأنّ نصوص حزب الاستقلال والفاسي تطابق على نحو تام بين الاستعمار والصهيونية، إلا أن خطاب الاستقلاليين (نسبة لأعضاء حزب الاستقلال) غص الطرف عن توغل الحركة الصهيونية وسط يهود المغرب، سواء عبر الحركة الصهيونية التي نشطت داخل المغرب أم من خلال السياسة الفرنسية التي عززت "الهوية اليهودية" عبر "الرابطة اليهودية العالمية"، ناهيك عن تشبث يهود المغرب بالقبائلية، وهو التصور الديني الباطني الذي خرجت منه الصهيونية الحديثة والمعروفة باحتوائها مضامين تحث اليهود على الهجرة إلى "أرض الميعاد". وبالرغم من غياب هذا الأمر في خطاب علال الفاسي والحركة الوطنية المغربية عموماً، إلا أن الفاسي كباقي قيادات المغرب بتلك الحقبة أعطى بعداً عربياً للقضية الفلسطينية وعرفها في كتابه "كي لا ننسى" بمنطق قومي واصفاً الكيان الصهيوني بـ"دولة شذاذ الأفاق الذين التجأوا من الطغيان الأوروبي إلى بلاد عربية إسلامية ليستعبدوها، ويطردوا أبناءها ويبنوا على أنقاضها "دولة إسرائيلية" تصبح إسفيناً في وسط العرب، يفرق بين آسيا العربية وأفريقيا العربية".

وما من شك في أن الفاسي لا يختلف كثيراً عن مجايليه الإصلاحيين في قراءة المشهد المقاوم الفلسطيني ابتداءً من الدور المزيف للدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني بخصوص التصدي للاحتلال. وعلى خلاف ما يعتقد البعض، تميّز موقف الفاسي كذلك بتبنيه لخط التسوية والانضمامية الذي ظهر بعد النكسة، وقد طرحه كواقعية سياسية ودعا لتأسيس "دولة ثنائية القومية" تُوزع السلطة فيها "بالصفة الجاري بها في لبنان، وتكون اللغتان العربية والعبرية رسميتين للدولة". ومثل هذا الموقف لا يقبل أي تأويل. كما أكد الفاسي على "حق" اليهود الصهاينة بالوجود على أرض فلسطين بحجة القبول "بالأمر الواقع"، وترك المجال لهم لغرس الثقافة اليهودية العبرية بفلسطين المحتلة. وذهب الفاسي أبعد من ذلك بعدما أعلن عن دعمه لأنور السادات ومشروعه التسويقي في إحدى مقالاته وجاء فيها: "ومن الحق أن تسجل الاعتراف بجهوده (السادات) القوية في خدمة مصر والعالم العربي، وسياسته الخارجية الواضحة ودعوته للسلام وحل المشكل العربي-الإسرائيلي بالحسن وبالاتفاق مع الدول الكبرى".

وبالنسبة للسياق السياسي المغربي، لم يكن موقف الفاسي ودوره على هامش التطورات السياسية، بل كان حاضراً وصانعاً للحدث السياسي المغربي إبان مرحلة الخمسينيات والستينيات. إذ كان مثلاً من بين مؤسسي «لجنة تحرير المغرب العربي» بالقاهرة إلى جانب قيادات من طراز الحبيب بورقيبة



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بغرض تنظيم وتوحيد الكفاح السياسي والعسكري، إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل نتيجة للمنطق الحزبي الضيق والانتهازي للأحزاب المشاركة، بالإضافة إلى عدم الالتزام- حسب محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي تزعم مشروع اللجنة- بالأهداف الوحدوية والجزرية في طرحها المناهض للاستعمار بالمغرب العربي. وهكذا، فإن المرحلة التي أعقبت هذه التجربة المغاربية الوحيدة أفرزت استقلالين منفصلين، أي استقلال المغرب وتونس، وألغت مبدأ وحدة المعركة التي كانت الثورة الجزائرية عنوانها الرئيسي والملموس.

ومن المفارقات بين الخطاب السياسي للفاسي ومواقفه الفعلية أنه لم يمثل الشخصية الوحدوية التي ترى مستقبل المغرب السياسي عبر أفق وحدوي عابر للأقطار والتجزئة الاستعمارية، بل على العكس تماماً، فمنذ استقلال المغرب سنة 1956 وضع مصلحة المغرب ونظامه السياسي الناشئ فوق كل الاعتبارات، واستخدم لذلك الغرض قضية مغربية الصحراء وموريتانيا لتعويض وتغطية معاداة النظام المغربي للموجة الوحدوية العربية على غرار الأنظمة الملكية بالمشرق العربي. وقد تجلى هذا التوجه في موقفه الذي أعلنه من القاهرة بمناسبة "نهاية المعارك الحربية" سنة 1956، بينما رفضت قوات جيش التحرير المغربي هذه الدعوة مع إصرارها على مواصلة الكفاح المسلح. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى الانقسام العلني الذي حدث بين خطي الفاسي والخطابي حيث عقب الفاسي على المنشورات التحريضية للخطابي بما يلي: "إن كل واحد له الحرية في اختيار الطريق التي تناسبه، وموقف عبد الكريم لا يتناسب والحالة هذه". وفي خضم هذه التطورات، دعا الفاسي إلى مؤتمر طنجة المغاربي بسنة 1958 مستغلاً حالة الانقسام داخل جبهة التحرير الجزائرية الناتجة عن قرارات مؤتمر الصومام من جهة وقيام الاتحاد العراقي-الأردني من جهة أخرى لمعاكسة الوحدة السورية-المصرية. لذلك كان مؤتمر طنجة محل ريب بالنسبة لقيادة الجمهورية العربية المتحدة، لا سيما بعدما اتضحت نوايا المؤتمر لاحتواء الثورة الجزائرية وإبعادها عن مسارها القومي العربي بتعزيز دور عناصر قيادية جزائرية مناوئة للوحدة العربية. ويضاف إلى هذه السياسات المعادية للمد الناصري، وقوف الفاسي وتقرّبه من جماعة الإخوان المسلمين وتحديد سبباً قطب إبان إقامته في القاهرة ومحاولته التدخل لوقف حكم الإعدام في حق سيد قطب الذي كان متورطاً في نشر أفكار تكفيرية وتحريض الشعب المصري على إسقاط النظام الوطني المصري بالعنف.

بالمحصلة، يمكن الجزم بأن مواقف علال الفاسي المعادية للمد الناصري من ناحية، ولخط جيش التحرير بالمغرب العربي من ناحية أخرى، لم تكن تحظى باهتمام الكثير من المتابعين والباحثين بالشأن المغاربي بخمسينيات وستينيات القرن الماضي على اختلاف ألوانهم وتوجهاتهم. فالصورة التي تم ترويجها لعالل الفاسي غالباً ما تأخذ جانباً أحادياً بتركيزها على فكره الإصلاحية والسياسي بعيداً عن السياسة وتجادبات المحاور التي كان الفاسي أحد وجوهها بالقطر المغربي. ولعل ما يؤيد هذا الطرح هو تأسيسه لتوجه مغربي ضيق ظل ثابتاً طيلة مسيرته الفكرية والسياسية، على خلاف توجهه الوحدوي العربي الذي كان متذبذباً ووظيفياً وأميل إلى التحالفات العربية الرجعية التي احتاجها المغرب الرسمي للحفاظ على شخصية نظامه المخزني التقليدي، بعيداً عن الطرح الجمهوري الوحدوي الذي تزعمه التيار القومي العربي.

المصادر:

- محمد أمزيان، عبد الكريم الخطابي: آراء ومواقف، صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا، دين هاخ، 2003.
- حسن طارق، الليبرالية في الفكر المغربي المعاصر التباسات السلفية والحرية، المجلة المغربية للسياسات العمومية، مطبعة طوبة بريس، الرباط، 2009.
- D.E.Ashford, The irredentist appeal in Morocco and Mauritania, John Hopkins University, Western Political Quarterly, volume 15, 1962.
- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003.
- معمر العايب، مؤتمر طنجة المغاربي: دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
- عبد الإله بلقزيز والعربي فضال وأمينة البقالي، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية 1947-1986: محاولة في التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.
- عبد السلام طويل: السلفية الجديدة وإعادة صياغة الفكر الإصلاحي الإسلامي: علال الفاسي نموذجاً، الثقافة العربية في القرن العشرين: حصيلة أولية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
- عبد الرحيم بن سلامة (إعداد وتنسيق)، علال الفاسي في الذاكرة، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، 2009.
- علال الفاسي، النقد الذاتي (تقديم ومراجعة سعيد بنسعيد العلوي)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 2019.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

الحل المرحلي

ناجي علوش

7/10/2010



عندما طرح مشروع الحل المرحلي في بداية السبعينيات، قلنا لهم إن لا دولة ولا حل، فقالوا هناك دولة وحل لأن الوضع العالمي تغير، وظنوا أن ما فعلته المقاومة وقتها كان يكفي لفرض حل دولي، وطال النقاش والمشاحنة، ولم يقتنعوا أنه ليس هناك حل، وأنه لكي يكون هناك حل لا بد من وجود قوة عسكرية تهزم العدو الصهيوني.

وأجروا الاتصالات والمفاوضات السرية والعلنية، فلم يأخذوا الحل المرحلي، وظل الكيان الصهيوني يتهب الأرض ويطرد السكان ويتسلح ويعزز مواقفه السياسية والعسكرية، وظن كهنة السياسة الفلسطينية أن الحل موجود في واشنطن، وأنه لكي يسلم لنا يجب أن نوافق على متطلبات الأمن والوجود الصهيوني،

وأن يخضع الوطن العربي لمتطلبات السياسة الأمريكية لناخذ الحل من الدرج الأمريكي، وساروا في هذا الطريق، فألقوا ميثاق المنظمة جانباً، وأجروا اتصالات مباشرة مع العدو، ولم يعززوا العمل السياسي والعسكري، ولم يعززوا المساندة العربية للثورة الفلسطينية، ولم يرفعوا سوية القوات المقاتلة، ولا طوروا حلقات العمل السياسي، وظلوا يريدون دولة...

ولما لم تُجدِ الاتصالات السرية ووساطات الرسل، عملوا على نقل الاتصالات إلى مستوى المفاوضات العلنية لطمأنة قلوب المتشدد من اليهود، وإرضاء الداعم الأمريكي لمستوطنة "بني إسرائيل".

وبالرغم من كل ذلك، لم يقتربوا من الحل ومن الدولة.

وبقينا نقول لهم أن "الحل" يتطلب:

أولاً: رفع السوية السياسية لتنظيماتكم،

ثانياً: رفع السوية القتالية لمقاتلكم ولشعبكم.

فلا دولة بلا تحرير، وعندما تكون كل الجبهات مقاتلة بمستوى غزة، تبدأ عملية التحرير، ولا حل بدون التحرير. أما حل المطالبة والمناشدة فهو مجرد "وهم" جاهل غافل.

ف"الحل" هو التحرير، والتحرير فقط، ولا شيء غير التحرير، لأن لا حل عادل وشامل بوجود الكيان الصهيوني المدجج بالسلاح وبالدعم الأمريكي.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

وأعتقد أن كل من يبحث عن حل سياسي عبر الوساطة الدوليين ينتهي نهاية حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، ونحن لا نتمنى لأي طرف أن ينتهي هذه النهاية.

وسيتحمل الرؤساء العرب والأوساط العربية التي تغطي مشروع الحل الأمريكي مسؤولية تاريخية أمام جماهيرها إذا ظلت تغطي ما يسمى الحل، وهو ليس حلاً، بل تصفية للشعب الفلسطيني.

ونحن ننبه كل القوى الفلسطينية أن تأخذ حذرهما من "حلول" الغطاء العربي الرسمي لحل غير موجود، وغير مقبول إذا وجد.

ونحن حين ننبه إلى المزالق، فإننا لا نريد أن نبتكر خطراً غير موجود، بل أن نؤكد على خطر موجود وقائم.

إن العدو الإمبريالي الأمريكي قد يكون قد غير طريقة خطابه، ولكن سياسته ما زالت هي هي ولم تتغير، وهي تستهدف تصفية القوى المقاتلة والموقف الذي لا يريد أن يسلم لتخرج "إسرائيل" منتصرة بلا قتال ولا قتيل. وهكذا تصفى القضية الفلسطينية، وتصفى القضية اللاجئيين وقضية القدس وقضية فلسطين.

فهل نتعلم؟ إن علينا أن ندرس مخططات عدونا، وأن نعد الردود عليها.

وبينما تطلب قوى عربية وفلسطينية، بكل تهذيب، انسحاب العدو الصهيوني إلى حدود الرابع من حزيران، وهذا يضمن وجود "إسرائيل"، ولا يمسه، يطلب العدو تصفية القضية كلها، وتهجير فلسطينيي الـ48 كلهم، وتنظيف القدس من الوجود العربي.

فإذا كان هناك اختلال في الميزان العسكري بيننا وبين العدو، فهناك أيضاً اختلال سياسي في المواجهة والمطالبة: نحن نطالب بالقليل، وبخجل شديد، وهم يطالبون بكل شيء، وبلا خجل.

وما زالت الحكومات العربية التي غطت على هزيمة الـ48 تغطي كل تقدم للعدو، وتلوي أيدي المقاتلين وتصادر بنادقهم، وتعمل على إثارة الشقاق والمنازعات، وهي تدعو إلى الوحدة.

إن المنطق الرسمي العربي غير عربي وغير منطقي، وليس في مصلحة القضية، بل في مصلحة العدو، كما كان منذ عام 1917. كما أن الموقف الرسمي العربي يحاول أن يفرض نفسه على الشعب الفلسطيني عامةً، وقواه المقاتلة خاصةً، ونحن نحذر كل الوطنيين من الخضوع للضغط الذي يمارسه، لأن في ذلك تصفية للقضية وانتصاراً خارقاً للعدو الصهيوني-الإمبريالي.

والمشكلة أننا ونحن نسعى للوحدة ورمص الصفوف نجد السياسات الرسمية تدفع إلى الفرقة وإلى وجود صفيين: صف المصريين على القتال، ويجب أن يظلوا مصريين، وصف الساعين إلى تسوية، أية تسوية، ومهما كانت النتائج. فإذا توحد الصفان، فإما أن تسقط البندقية، وإما أن تسقط التسوية، ولا وحدة ما بين بين.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

قصيدة العدد: شكراً دمشق/ عبد الرزاق عبد الواحد

سَبِعُ وسَبِعُونَ... والأوجاعُ، والأرقُ
إلى متى كاحتراق العُودِ تَحترقُ؟!
وتَنطوي كُومَ أضلاع مَهشَمَةٍ
شاخَتْ، وشاخَ عليها الجَبْرُ والورقُ!
سَبِعُونَ عاماً... وهذا أنتِ مَجْمَرَةٌ
تخبُو، فَيوقِظُ من نيرانها القَلْقُ!
يا طارقَ الهَمِّ... هل أحصتِ مواجِعنا
كم مُوجِعينَ على أبوابها طَرَقوا؟!
كم مُحشَاشاً... كم جَريحاً... كم رَضِيعَ دَمٍ
سألتِ بهم نَحونا الأبوابُ والطَّرِيقُ
سَبِيعينَ عاماً... وراخوا سِرْبَ أجنحةِ
كانَهم قَبْلَ هذا اليومِ ما خَفُّوا!

سَبِعُونَ عاماً مَضتْ عَجلى دَقائِقها
كُنّا عليها انزلاقَ الماءِ نَنزِلُ
جِيناً يباعِدُنَا المَجري، وآوَنَةً
نُجسُهُ بِشِغافِ الرُّوحِ يَلتصِقُ
وَنحنُ نَجري ولا نَدري لِفَرطِ هَوَى
أَنَّ التَّمائينَ قَد لاحَ بِها الأَفقُ!
أَهكذا... بينَ خَفَقَي ظِلْمَةٍ وسَنَى
تَلوُحِ طِفلاً... فَشِخاً... ثمَّ تَنسَجُ
وَلستِ نَدري متى، أو أينَ كُنتِ قَتَى
ولا الأَطِيفالُ كُنّاهم متى نَطُفُّوا!
الرُّوحُ عَودُ تُقابِ، عُمُرُها نَفَقُ
فَهَلِ أضاءَ بما أشعَلتَهُ النَّفَقُ؟
أم سَوفَ تَخْرُجُ لا نَدري على بَلَجِ
أبوابِها، أم على لَيلِ سَتَنعَلِقُ!

شُكراً دِمَشقُ... وَهَبتِ العُمَرَ أجمَعَهُ
حُسنَ الخِتامِ... وهذا تَوْبُهُ الخَلْقُ
زاهٍ كأنَّ شَموسَ الكَونِ أجمَعها
طارَتْ لَهُ مِن دِمَشقِ الشَّامِ نَسْتَبِقُ!





العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

شكراً دِمَشقُ... مَنَحَتِ الرُّوحَ أجنحةً
لِكي تَنبِيه، وإن أَلوى بِها الرِّهَقُ
في آخرِ العُمُرِ أَسْرَجَتِ النُّجُومَ لَهَا
وَقُلْتَ طَيِّري إِلَيْهَا فَهَيَّ تَأْتَلِقُ
وَفِي انْتِظَارِكِ زَهُو الشَّمَامِ أَجْمَعُهُ
شكراً دِمَشقُ... فِدَاكِ الرُّوحُ وَالْحَدَقُ!
وَهَبَّتْهَا بَعْدَمَا ضَاقَ الزَّمَانُ بِهَا
مَجْداً بِالْفِ جَنَاحِ فِيهِ تَنْطَلِقُ
وَقُلْتَ لِلسَّبْعِ وَالسَّبْعِينَ لَا تَهْنِي
عِرَاقُكَ الشَّمَامُ حَتَّى يُسْرِقَ الفَلَقُ!

يا أَطْيَبَ الأَرْضِ... يا بَغْدَادُ ثَانِيَةً
يَخْضُرُ ضِلْعِي عَلَيهَا وَهُوَ يَنْطَبِقُ
كَأَنَّ بَغْدَادَ لَمْ تَذْهَبْ بِنَبْعَتِهِ
وَلَا تَبَيَّسَ مِنْهَا فَوْقَهُ العَلَقُ!
بَعَثْتَ أَنْتِ بِهِ فِي يَأْسِهِ أَملاً
أَنَّ العُرُوبَةَ لَمْ يَبْرَحْ بِهَا رَمَقُ
وَأَنَّ قَبْرَ صَلاحِ الدِّينِ مَا خَفَّتْ
أضواؤُهُ، فَبِهَا مِنْ دِفْنِهِ أَلْقُ
وَأَنَّ يَوْمَ سَيَاتِي أَنْتِ عُرْتُهُ
وَفِيكَ سَيْفُ صَلاحِ الدِّينِ يُمْتَشَقُ!

يا أُخْتِ بَغْدَادِ... مِليونانِ مِنْ بَلَدِي
فِي طَهْرٍ أَرْضِكَ مَا رِيغُوا، وَلَا رُهِقُوا
بِنِصْفِهِمْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
وَأَنْتِ تَسْمُو بِكِ الأَرْحَامُ وَالخُلُقُ!

شكراً دِمَشقُ، وَلَا وَاللَّهِ لَا طَمَعُ
وَلَا إِعَاءَ، وَلَا خَوْفَ، وَلَا مَلَقُ
يَشِينُ مِنْ لُعْنَتِي حَرَفاً فَيَتَلَمَّهَا
لو كَانَ هَذَا فَلَيْتَ النَّاسَ مَا عَشِقُوا!
نَهْواكَ وَاللَّهِ أُمَّاً أَرْضَعَتْ أُمَّماً
فَكُلُّهُمْ بِشَذَا أذْيَالِهَا عَلِفُوا!



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

نَهْوَكَ يَا آمَنَ الدُّنْيَا عَلَى دَمِنَا
مِنْ بَعْدِ مَا كُلُّ مَنْ خَاضُوا بِهِ غَرَقُوا
وَأَنْتِ عَنَّا وَعَنْهُمْ تَدْفَعِينَ فَهَلْ
أَحْسَ عِبْدَانُ أَهْلِي الْآنَ كَمْ أُبْقُوا؟!
وَكَمْ أَبَاحُوا ذِمَاماً لِلدِّمَاءِ لَهَا
حَتَّى لَدَى الذَّيْبِ حَدٌّ لَيْسَ يُحْتَرَقُ!

عُذْرًا دِمَشَقُ... أَقْبِلِي عَثْرَتِي فَأَنَا
أَصْبَحْتُ مِنْ فَلكِ الأَوْجَاعِ أَنْطَلِقُ
حَتَّى امْتُجِنْتُ بِصَوْتِي كَيْفَ أَطْلُقُهُ
وَكُلَّمَا قُلْتُ: يَا بَغْدَادُ... أَخْتِنِقُ!

وَكُلَّمَا صِحْتُ: يَا أَهْلِي... رَأَيْتُ دَمِي
عَلَى سَكَكِينِ أَهْلِي كَيْفَ يَنْدَلِقُ!
لَوْ أَنَّ أَهْلِي أَهْلِي لَاسْتَجَرْتُ بِهِمْ
أَنْتِ انصَحِينِي بِمَنْ مِنْ أَهْلِنَا أَتِقُ!؟

أَمَّا بَنُو وَطَنِي... أَلَلَّهُ يَنْصُرُهُمْ
لَكِنْ عَلَى مَنْ وَهُمْ فِي بؤْسِهِمْ فَرَقُ
بَعْضٌ يُقَطِّعُ بَعْضاً لَا أَبَا لَكُمْ
إِذَنْ مَتَى هَذِهِ الأَضْدَادُ تَنْفِقُ!؟
بَعْضٌ يُسَاوِمُ بَعْضاً دُونَمَا خَجَلٍ
وَبَيْنَكُمْ وَطَنٌ أَشْلَاؤُهُ مَرَقُ
هُوَ الذَّبِيحُ شَرَابِيناً وَأُورِدَهُ
وَكُلُّكُمْ يَورِدُ مِنْهُ يَرْتَرِقُ!

يَا أَخْتِ مِرْوَانَ ضَجَّ الهَوْلُ فِي وَطَنِي
فَكَادَ حَتَّى حِجَارُ الأَرْضِ يَمَّجِقُ
لَنْ أَذْكَرَ المَوْتَ... صَارَ المَوْتُ تَسْلِيَةً
أَهْلِي غَدَا عُنُقًا تَلْهُو بِهَا عُنُقُ!
وَلَنْ أَشِيرَ إِلَى حَجْمِ الضِّيَاعِ بِهِ
فَمَا الَّذِي ظَلَّ حَتَّى الْآنَ مَا سَرَقُوا؟
لَكِنَّ تَارِيخَ أَرْضِي الْآنَ يَمْسَحُهُ
مَنْ يَمْسَحُونَ، وَثَانٍ عَنْهُ يُخْتَلَقُ!
هُمْ يَصْنَعُونَ عِرَاقاً لَا عِرَاقَ بِهِ



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

ثالوثُهُ الْفَقْرُ، وَالْإِجْرَامُ، وَالْعَوَقُ
وَيَصْنَعُونَ عِرَاقاً لَا ضَمِيرَ لَهُ
لَا رُوحَ فِيهِ، وَلَا قَلْبَ، وَلَا خُلُقَ
هُمُ يَصْنَعُونَ عِرَاقاً حَجَمَ أَنْفُسِهِمْ
سِيْمَاؤُهُ الْجَهْلُ، وَالْجِرْمَانُ، وَالْفَرْقُ
أَمْسَى الَّذِي كَانَ زَهْوِ الْأَرْضِ أَجْمَعِهَا
خَجَلَانِ إِنْ سَكْتُوا عَنْهُ، وَإِنْ نَطَفُوا!
لَا أَصْلَ، لَا أَرْضَ، لَا تَارِيخَ ظَلَّ لَهُ
هُمُ مَرَفُوا مِثْلَمَا شَاءُوا، وَهُمْ رَتَفُوا!
وَالْغَرْبُ يَنْظُرُ... وَالصَّحْرَاءُ غَافِيَةٌ
مَذْهُولَةٌ... سَالٌ فِيهَا النَّفْطُ وَالشَّبَقُ!
وَتَشْحَدُ الْآنَ أَمْرِيكَ قَرِيحَتَهَا
لَعَلَّ أَمراً جَدِيداً عَنْهُ تَنْفَعُ!

وَأَنْتِ يَا دُرَّةَ التَّارِيخِ شَاخِصَةٌ
وَشَاخِصٌ فِيكَ هَذَا الضُّوْءُ وَالْعَبَقُ
وَشَاخِصٌ بِاسْمَيْنِ الشَّامِ أَجْمَعُهُ
طَهْرًا يُرَاقِبُ كَيْفَ الْأَرْضُ تَنْزَلِقُ
فَتَسْتَحِيلُ يَبَاباً كُلَّ بَهْجَتِهَا
لِيَحْكَمَ النَّاسَ مَنْ خَانُوا وَمَنْ فَسَدُوا!

شَمَسَ التَّقَافَةَ هَذَا الْعَامَ... مَعْذَرَةً
يَبْقَى سِنَاكَ مَدَى الْأَعْوَامِ بِأَتْلُقُ
تَبْقَى نُقُوبُهُمُ السُّودَاءُ، مَا بَلَّغَتْ
مِنَ السُّودِ، إِذَا مَسَّتْكَ تَنْصَعِقُ!
هِيَ النَّبْوءَةُ شَمْسُ الشَّرْقِ آخِرُ مَا
يَبْقَى إِذَا لَفَّ هَذَا الْعَالَمَ الْعَسَقُ!
وَأَخِرُ الْأَرْضِ عِنْدَ الشَّرْقِ سَوْفَ يُرَى
إِنْ غَيَّبَ الْعَالَمَ الطُّوفَانَ وَالْعَرَقُ!

شكراً دمشق

يأبى العراق دوماً إلا أن يكون نهراً يفيض بالعز والوفاء، في عام 2008، ألقى الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد (1930-2015) قصيدته الخالدة في قلب العاصمة السورية خلال تكريم قلده فيه "درع دمشق" على هامش اختيارها عاصمة للثقافة العربية، قد يبدو الأمر غريباً علي من يجهل دمشق، فالشاعر البعثي العراقي والشيوعي السابق يتقلد درع أعظم العواصم وأقدمها في ظل البعث أيضاً، بيد أنه لا عجب، من يعرف دمشق حقاً، يدرك حق المعرفة كيف تحترف فن لأم الجراح، فكل صدادح بالعروبة ابنها البار وكل ناطق بالحق رفيقها في النضال.

إنها دمشق التي احتضنت مليوني عراقي -ولا منة- خلال سني الغزو العجاف، يشكرها الشرفاء الأوفياء فتحضنهم، تبادلهم الحب بالحب والوفاء بالوفاء، وإلا لما كانت دمشق، عاصمة الياسمين ومعشوقة العرب الأبدية.



العدد رقم (76) صدر في 1 تموز عام 2021 للميلاد

رسم العدد: المناضل الوطني والقومي نزار بنات



انتهى العدد